البحث الرابع عشر

تحديات الحوار الحضاري
ودور الدعوة الإسلامية في مواجهتها

إعداد الدكتور

عبد الرحمن محمد زكي الدين حفني

المدرس بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

تحديات الحوار الحضاري ودور الدعوة الإسلامية في مواجهتها

د/ عبد الرحمن محمد زكي الدين حفني
مدرس بقسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر
البريد الالكتروني:abdelrahmanhafni١٣٢٣ @azhar.edu.ag

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة وتحليل التحديات الرئيسية التي تواجه الحوار الحضاري في العصر الحالي، ويسعى لبيان دور الدعوة الإسلامية في التصدي لهذه التحديات، مع استشراف آفاق مستقبلية لتعزيز التواصل بين الحضارات، ومن التحديات الأساسية التي تعيق الحوار الحضاري، الصور النمطية والأحكام المسبقة، اختلاف القيم والمفاهيم، والصراعات السياسية والاقتصادية، التطرف والتعصب، وضعف اللغة المشتركة، كما يناقش دور الدعوة الإسلامية في مواجهة هذه التحديات، مركزاً على تأكيد قيم الإسلام في احترام الآخر، ونشر ثقافة التسامح والتعايش، وتعزيز الحوار البناء، وتصحيح المفاهيم الخاطئة.

ثُم يقدم البحث رؤية استشرافية للنهوض بالحوار الحضاري، مقترحاً آليات للتعاون في القضايا العالمية، واستثمار الفضاء الرقمي لتعزيز التواصل بين الثقافات، تفعيل دور الشباب، وتطوير برامج التبادل الثقافي والأكاديمي. كما يسلط الضوء على أهمية استخدام التكنولوجيا الحديثة في الدعوة والحوار، والتركيز على القواسم المشتركة بين الحضارات.

يعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي، مستنداً إلى مصادر متنوعة من الدراسات العربية والغربية، مما يسهم في تقديم رؤية متكاملة لمعرفة التحديات، وتعزيز الحوار الحضاري من منظور إسلامي، مع اقتراح استراتيجيات عملية لمواجهة التحديات المعاصرة في هذا المجال، وفتح آفاق جديدة للتعاون والتفاهم بين الثقافات والحضارات المختلفة.

وخلص البحث إلى عدد من النتائج منها: تبين من خلال البحث أن الحوار الحضاري يواجه مجموعة متنوعة من التحديات، تتراوح بين الصور النمطية والأحكام المسبقة، واختلاف القيم والمفاهيم، والصراعات السياسية والاقتصادية، وضعف اللغة المشتركة، وصولاً إلى التطرف والتعصب، وهذه التحديات متشابكة ومترابطة، مما يجعل معالجتها أمرًا يتطلب تكاتف المؤسسات التعليمية والإعلامية والثقافية في مختلف الحضارات، كذلك أظهرت الدراسة الدور الحيوي الذي يمكن أن تقوم به الدعوة الإسلامية في مواجهة تحديات الحوار الحضاري، وذلك من خلال التأكيد على قيم الإسلام في احترام الآخر، ونشر ثقافة التسامح والتعايش، وتعزيز الحوار البنّاء وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وهذا الدور يعكس الجوهر الحقيقي للإسلام كدين يدعو إلى السلام والتفاهم بين البشر، ويُوصى الباحث بضرورة تنفيذ وتطوير برامج تعليمية شاملة، تهدف إلى تعزيز الوعي بالتنوع الثقافي والديني، وتنمية مهارات التواصل بين الثقافات، فمثل هذه البرامج ينبغي أن تكون جزءًا لا يتجزأ من المناهج الدراسية في مختلف المراحل التعليمية، بدءاً من المدارس الابتدائية وصولاً إلى الجامعات، ويمكن إضافة تدريس مادة تحمل مسمى (حوار الحضارات) في المرحلة الجامعية، تعمل على إثراء وتعزيز مهارات التواصل بين الشباب.

الكلمات المفتاحية: الحوار، الحضاري، تحديات الحوار، الدعوة الإسلامية، مستقبل الحوار الحضاري.

The challenges of civilizational dialogue and the role of Islamic advocacy in confronting them

Abd al-Rahman Muhammad Zaki al-Din Hafni
Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic Da'wah in Cairo, Al-Azhar University, Egypt
E-mail: abdelrahmanhafni.١٣٢٣@azhar.edu.ag

Abstract;

The research aims to study and analyze the main challenges facing civilizational dialogue in the current era, and seeks to demonstrate the role of Islamic advocacy in confronting these challenges, while anticipating future prospects for enhancing communication between civilizations, Among the basic challenges that hinder civilizational dialogue are stereotypes and prejudices, differences in values and concepts, political and economic conflicts, extremism and fanaticism, and the weakness of a common language. It also discusses the role of Islamic advocacy in confronting these challenges, focusing on affirming the Islamic values of respecting others and spreading a culture of tolerance coexistence, promoting constructive dialogue, correcting misconceptions, The research then presents a forward-looking vision for promoting civilizational dialogue, proposing mechanisms for cooperation on global issues, investing in digital space to enhance communication between cultures, activating the role of youth, and developing cultural and academic exchange programs. It also highlights the importance of using modern technology in advocacy and dialogue, and focusing on the commonalities between civilizations. The research relies on the descriptive and analytical approach, based on various sources of Arab and Western studies, Which contributes to providing an integrated vision for identifying the challenges and promoting civilizational dialogue from an Islamic perspective, while proposing practical strategies to confront contemporary challenges in this field, and opening new horizons for cooperation and

understanding between different cultures and civilizations. The research reached a number of results, including: It was found through the research that Civilized dialogue faces a variety of challenges, ranging from stereotypes and prejudices, The difference in values and concepts, political and economic conflicts, the weakness of the common language, leading to extremism and fanaticism, and these challenges are intertwined and interconnected, which makes addressing them a matter that requires the cooperation of educational, media, and cultural institutions in various civilizations. The study also showed the vital role that the Islamic call can play in confronting... Challenges of civilizational dialogue, by emphasizing the Islamic values of respecting others, And spreading the culture of tolerance and coexistence, promoting constructive dialogue and correcting misconceptions. This role reflects the true essence of Islam as a religion that calls for peace and understanding among people. The researcher recommends the necessity of implementing and developing comprehensive educational programs that aim to enhance awareness of cultural and religious diversity and develop intercultural communication skills, such as These programs should be an integral part of the curriculum at various educational levels, Starting from primary schools all the way to universities, it is possible to add teaching a subject called (Dialogue of Civilizations) at the university level, which works to enrich and enhance communication skills among young people.

Keywords: Dialogue, Civilizational dialogue, Challenges of dialogue, Islamic preaching, The future of civilizational dialogue.

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ الأتمانِ الأكملانِ على سيدِنَا مُحمدٍ ﷺ

وبعد، فقد أصبح الحوار الحضاري بين الأمم والثقافات ضرورة ملحة في عصرنا الحاضر؛ إذ يشهد عالمنا المعاصر تحولات جذرية وتطورات متسارعة في شتى المجالات، مما أدى إلى تقارب الشعوب وتداخل الثقافات وتشابك المصالح بشكل غير مسبوق، ويُسهم الحوار الحضاري في تحقيق التعايش السلمي الذي يُشكِّل ضرورة حتمية لتجنب الصراعات وتحقيق الاستقرار العالمي، كذا لما تواجه البشرية من تحديات عالمية كالتغير المناخي والأوبئة والفقر، مما يستدعي تعاوناً دولياً لا يمكن تحقيقه دون حوار حضاري فعال، كما يُعد الحوار الحضاري، أداة فعالة في مواجهة التطرف ونشر ثقافة السلام والتسامح.

وفي خضم تلك الحاجات والمستجدات، برزت الحاجة الماسة إلى حوار حضاري فعال يُسهم في بناء جسور التفاهم والتعاون بين مختلف الأمم والحضارات، بيد أن هذا الحوار يواجه تحديات جمة تعيق تحقيق أهدافه السامية، كانتشار الصور النمطية والأحكام المسبقة، وتصاعد موجات التعصب والكراهية، والتي تغذيها – أحياناً – بعض وسائل الإعلام والخطابات السياسية المتطرفة.

وإذا كان مصطلح "الحوار الحضاري" برز نتيجة التحديات التي تواجهها البشرية اليوم، فإن مما لا شك فيه أن الدعوة الإسلامية جسدت ركائز الحوار الحضاري، وساهمت على مَرِّ التاريخ في تحقيق هذا الحوار، وشكلت دورًا محورياً في بناء جسور التواصل بين الحضارات وتحقيق التفاهم المتبادل.

وهي اليوم مدعوة لاستعادة هذا الدور الحيوي في الحوار الحضاري – الذي يتطلب جهوداً متضافرة من العلماء والمفكرين والمؤسسات الإسلامية – ؛ لتقديم نموذج حضاري يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويؤكد على قيم التسامح والتعايش، ويعمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين، ويقدم صورة حقيقية عن سماحة الدين الإسلامي وانفتاحه على الآخر، مع تعزيز ثقافة التعددية والاعتراف بحق الاختلاف،

والتأكيد على القواسم المشتركة بين الحضارات.

وانطلاقًا من عالمية الدعوة الإسلامية، وما تحمله من قيم سامية ورسالة عالمية، لديها القدرة على المساهمة بشكل فعال في مواجهة تحديات الحوار الحضاري، من خلال الالتزام بمنهج الوسطية والاعتدال، والانفتاح على الآخر مع الحفاظ على الهوية... يأتي هذا البحث؛ يُجلي معوقات وتحديات الحوار الحضاري في العصر الحاضر، وكيف تُسهم الدعوة الإسلامية في مواجهة تلك التحديات.

أسباب البحث وأهميته :

١- يساعد البحث على تحديد وفهم التحديات المعاصرة التي تواجه الحوار الحضاري.

٢- المساهمة في تقديم المقترحات والتوصيات العلمية والمنهجية التي من شأنها أن تعمل على تفعيل الحوار الحضاري، وبناء جسور التواصل بين الثقافات.

٣- إيجاد طرق لتعزيز التفاهم بين الثقافات، إذ يتوقع أن يُسهم البحث في إيجاد سبل لتحسين التواصل والتفاهم بين مختلف الحضارات والثقافات.

٤- مواجهة الصور النمطية الخاطئة المنتشرة في مناهج التعليم، والإعلام الغربي عن المسلمين، والتي تقف كأكبر مُعيق للحوار الحضاري، فتصحيح المفاهيم الخاطئة والصور النمطية عن الإسلام والمسلمين، يدفع بالمضي قدمًا في الحوار الحضاري.

٥- تعزيز السلام العالمي، من خلال المساهمة في إيجاد أرضية مشتركة للتعاون الدولي تحقق التعايش السلمي بين مختلف الحضارات.

٦- معالجة تحديات اندماج المسلمين في المجتمعات غير الإسلامية، واقتراح حلولاً للتعايش الإيجابي دون التخلي عن القيم الإسلامية.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحليل الواقع الراهن؛ للوقوف على أبرز التحديات الحالية التي تواجه الحوار الحضاري، ومن ثَمَ اقتراح حلول مبتكرة لمواجهة تلك التحديات تتناسب مع متطلبات العصر وتحدياته.

تساؤلات البحث : يأتي هذا البحث للإجابة على سؤال رئيس مفاده: ما أبرز تحديات

الحوار الحضاري، وما سبل مواجهتها من منظور الدعوة الإسلامية؟

ويتفرع من ذلك عدة أسئلة، وهي:

١- ما تأثير الصراعات السياسية والاقتصادية على الحوار الحضاري، وكيف يمكن تجاوزها؟

٢- كيف يمكن للدعوة الإسلامية أن تسهم في تجاوز عقبات الحوار الحضاري؟

٣- ما دور القيم الإسلامية في تعزيز التفاهم بين الحضارات المختلفة؟

٤- ما استراتيجيات نشر ثقافة التسامح والتعايش في سياق الحوار الحضاري؟

٥- كيف يمكن توظيف التكنولوجيا الحديثة في تعزيز الحوار بين الثقافات والحضارات؟

٦- كيف يمكن الاستفادة من القواسم المشتركة بين الحضارات لتعزيز التواصل والتفاهم؟

٧- ما الآفاق المستقبلية للنهوض بالحوار الحضاري في ظل التحديات العالمية الراهنة؟

٨- هل يمكن تفعيل دور المؤتمرات والمنتديات في تعزيز الحوار بين الحضارات والأديان والثقافات؟

منهج البحث: اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي[١]، والمنهج الاستنباطي[٢]، حيث قمت بتتبع أبرز التحديات التي تواجه الحوار الحضاري، ثم تحليلها واستنباط طرق مواجهة تلك التحديات، وإيجاد وسائل لتعزيز الحوار الحضاري، من خلال تلافي السلبيات المعيقة للحوار، وتبني موضوعات المشترك الإنساني.

الدراسات السابقة: توجد بعض الدراسات التي تحدثت عن الحوار الحضاري، من زاوية أو أخرى، ومن تلك الدراسات ما يلي:

---

(١) المنهج الوصفي هو: محاولة الوصول إلى المعرفة الدقيقة والتفصيلية لعناصر مشكلة أو ظاهرة قائمة، للوصول إلى فهم أفضل وأدق أو وضع السياسات والإجراءات المستقبلية الخاصة بها، مناهج البحث العلمي، د/ محمد سرحان المحمودي، ص ٥٦، دار الكتب – صنعاء، ط٣، سنة ٢٠١٩م.

(٢) المنهج الاستنباطي هو: منهج أسلوبه الشرح والنظر والتفكر والتأمل والتحليل، وينتقل من الكل إلى الجزء، أو من العام إلى الخاص، مناهج البحث العلمي، د/ محمد سرحان، ص٧٤، مرجع سابق.

١ – **حوار الحضارات – المحددات والضوابط في ضوء الكتاب والسنة**، د/ فهد بن عبد العزيز عبد الله السنيدي، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية – جامعة الملك سعود، سنة: ١٤٣٠هـ. واختص هذا البحث بتحرير مفهوم حوار الحضارات، ومن ثم بيان حقيقته، وإزالة كثير مما يحيط بهذا المفهوم من شبهات ولبس، وذلك من خلال بيان أصوله وضوابطه ومجالاته، ثم آثاره، وفق دراسة عقدية، ولم يتطرق لعقبات الحوار الحضاري ولا سبل المواجهة.

٢ – **الحوار الحضاري ... الحوار في اللغة – رؤية في الوسائل والأهداف** –، عائشة بلعربي، مقال بمجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، السنة: ٤٤، العدد: ٥٠٠، ربيع الآخر، ١٤٢٨هـ، وقد اقصر على الحديث عن مفهومه ووسائله وأهدافه.

٣ – **حوار الحضارات بين الفكرة والتطبيق**، د/ بلبول نصيرة، مجلة آفاق للعلوم، المجلد الخامس، العدد: ١٨، سنة: ٢٠٢٠م.

٤ – **حوار الحضارات في منظور الثقافة الإسلامية – الأسس والقواعد**، د/ محمد سيف الإسلام بوفلاقة، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد: الثامن، العدد الأول، سنة: ٢٠٢١م.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وفيها التعريف بالبحث وأسبابه وأهميته وتساؤلاته وخطته.

التمهيد: وفيه بيان مفهوم الحوار الحضاري وأهميته وأهدافه في العصر الحالي، وبيان أهداف الحوار الحضاري، وبيان أهمية ودور الدعوة الإسلامية في هذا الحوار.

المبحث الأول: تحديات الحوار الحضاري، وفيه:

- المطلب الأول: الصور النمطية والأحكام المسبقة.
- المطلب الثاني: اختلاف القيم والمفاهيم.
- المطلب الثالث: الصراعات السياسية والاقتصادية.
- المطلب الرابع: التطرف والتعصب.
- المطلب الخامس: ضعف اللغة المشتركة.

المبحث الثاني: الدعوة الإسلامية ودورها في مواجهة تحديات الحوار الحضاري.

- المطلب الأول: التأكيد على قيم الحضارة الإسلامية في احترام الآخر.
- المطلب الثاني: نشر ثقافة التسامح والتعايش.
- المطلب الثالث: تعزيز الحوار البناء وتصحيح المفاهيم الخاطئة.
- المطلب الرابع: الاهتمام بتعلم اللغات والترجمة.
- المطلب الخامس: التركيز على القواسم المشتركة بين الحضارات.

المبحث الثالث: آفاق مستقبلية للنهوض بالحوار الحضاري.

- المطلب الأول: التعاون في القضايا العالمية (الأمن الغذائي، حماية البيئة، السلام).
- المطلب الثاني: تعزيز دور مؤتمرات ومنتديات الحوار بين الأديان والثقافات.
- المطلب الثالث: استثمار الفضاء الرقمي لتعزيز التواصل بين الثقافات.
- المطلب الرابع: تفعيل دور الشباب في الحوار الحضاري.
- المطلب الخامس: برامج التبادل الثقافي والأكاديمي.

التمهيد

مفهوم الحوار الحضاري وأهميته وأهدافه في العصر الحالي

أولا مفهوم الحوار الحضاري:

الحوار في اللغة:

الحوار هو: الرجوع، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة(١).

وبذلك يُفهم أن الحوار هو التفاعل بين طرفين في الحديث، وإيراد الكلام من طرف والرد عليه من الطرف الآخر، وهدفه التجاوب مع المتحدث، ومحاولة فهم حديثه، وتوضيح معاني الكلام ومراميه.

الحوار اصطلاحًا: يُعرف الحوار في الاصطلاح بأنه "المحادثة بين شخصين أو أكثر مباشرة بشكل عام؛ أو بين فريقين بغية الوصول إلى حقيقة مسألة مختلف بشأنها أو لتحقيق فهم مشترك حول مسألة ما"(٢).

فالحوار قد يكون بين فردين أو مجموعتين حول مسألة أو مجموعة من المسائل والقضايا؛ لتحقيق هدف مشترك يسعون إليه من خلال المحاورة، حول فكرة أو قضية لتجليتها وفهمها على وجهها الأكمل أو حل النزاع فيها.

الحضارة في اللغة: كلمة الحضارة مشتقة من الحضر، وفي اللغة الحضر: خلاف البدو. والحاضر: خلاف البادي، والحاضرة: خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار(٣).

فالحضارة تقابل في اللغة البادية، ويقصد منها إقامتهم في المدن، وطريقتهم في

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ٢١٩/٤ باختصار، الطبعة الثالثة – ١٤١٤هـ.

(٢) حوار الحضارات – المحددات والضوابط في ضوء الكتاب والسنة، د/ فهد بن عبد العزيز السنيدي، صـ٦٣، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية – جامعة الملك سعود، سنة: ١٤٣٠هـ.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ١٩٧/٤، مرجع سابق.

العيش تغاير أهل البدو في كثير من مظاهر الحياة... وهذا المفهوم لكلمة الحضارة تطور على مدار الزمن، ويمكن القول بأن أصدق وصف يقارب ما يراد به في الواقع ما ذكره "ابن خلدون" في مقدمته إذ يقول: "الحضارة في الأمصار من قبل الدول، وهي ترسخ باتصال الدولة ورسوخها، والسّبب في ذلك أنّ الحضارة أحوال عاديّة زائدة على الضّروريّ من أحوال العمران، وهذه الزيادة تتفاوت بتفاوت الرّفه، وتفاوت الأمم في القلّة والكثرة، وتقع فيها عند كثرة التّفنّن في أنواعها وأصنافها فتكون بمنزلة الصّنائع، ويحتاج كلّ صنف منها إلى القائمين عليه والمهرة فيه، وبقدر ما يتزيّد من أنواعها تتزيّد أهل صناعتها .. وأكثر ما يقع ذلك في الأمصار؛ لانتشار العمران وكثرة الرّفه في أهلها"(١).

وهذا المفهوم لكلمة حضارة الذي ارتبط بالمدن والعمران المادي، اتسع عن ذلك، حتى صار يُطلق على: "الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي، والاقتصادي في الحضر.. وبعبارة أخرى أكثر شمولًا، هي: الحصيلة الشاملة للمدنية، والثقافية، والفكر، ومجموع الحياة، في أنماطها المادية والمعنوية.. ولهذا كانت الحضارة هي: الخطة العريضة – كماً وكيفاً – التي يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم، ومنها الحضارات القديمة، والحضارات الحديثة والمعاصرة.. ومنها الأطوار الحضارية الكبرى، التي تصور انتقال الإنسان أو الجماعات، من مرحلة إلى مرحلة.."(٢).

وتعرف الحضارة كذلك بأنها: "ثمرة للجهد البشري، التي يهدف منها إلى تحسين معيشته، وقد تكون الحضارة جانباً مادياً أو معنوياً، وكل الثمرات الحضارية تخضع إلى عامل الزمن، إضافة إلى الجهد البشري"(٣).

---

(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، خليل شحادة، ٤٦١/١ بتصرف، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

(٢) الحضارة الإسلامية، أحمد عبد الرحيم السايح، صـ٧٠، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١٠، سنة: ١٣٩٧هـ.

(٣) الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، حسين مؤنس، صـ١٣، بتصرف، دار عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عالم المعرفة، الكويت، ط٢ سنة: ١٩٩٨م.

ويعرفها "وِل ديورَانت" بقوله: "الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب، لأنه إذا ما أمِنَ الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والبناء، وبعدئذ لا تنفك الدوافع الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها"(١).

أما التعريف الوظيفي للحضارة كما يقول: "مالك بن نبي" فإنه يتمثل في: "مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل عضو من أعضائه في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة، إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه"(٢).

ومجمل القول أنَّ الحضارة هي الرقي والتقدم في الجوانب المادية والمعنوية، وروافدها تكمن في: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وقيامها يستلزم مجموعة من الشروط الأخلاقية والإمكانات المادية، إذا فُقدت انعدمت تلك الحضارة واندثرت.

الحوار الحضاري:

يُمكن تعريف الحوار الحضاري "إجرائيًا" بأنه: تفاعل فكري وثقافي ناشئ عن احتكاك العناصر المتعددة (المبادئ والأفكار والنظريات) في الحضارات المختلفة، مما يؤدي إلى التفاعل والتلاقح الفكري والعلمي والمعرفي، والمادي، قبولًا لمظهرٍ أو رفضًا لآخر، حسب الخصوصية الحضارية لهذه الحضارة أو تلك.

ويمكن تقسيم الحوار الحضاري بناء على ذلك إلى قسمين: الأول منهما: يكمن في تفاعل العناصر المادية للحضارات أخذًا وعطاءً عن طريق التقليد والنحت لعناصر الحضارات

(١) قصة الحضارة، وِل ديورَانت – ويليام جيمس ديورَانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، وآخرون، ٣/١، دار الجيل، بيروت – لبنان، سنة: ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

(٢) آفاق جزائرية: للحضارة، للثقافة، للمفهومية، مالك بن نبي، صـ٤٦:٤٧، دار الفكر، دمشق، سنة: ١٩٧١م.

الأخرى، وهو أمرٌ واقع وقائم بالفعل قدم الحضارات الإنسانية، فهي تتلاقح من خلال التبادل التجاري والصناعات المختلفة، والحاجة هي التي تقود هذا التفاعل الطبيعي.

الثاني: الحوار المعرفي بين أفراد تلك الحضارات، تقريبًا للأفكار وإزالة للالتباس في جوانب معينة من القضايا الفكرية أو الدينية، ومن صور ذلك الحوار: (حوار الأديان – حوار الثقافات – الحوار العسكري...).

ثانيًا: أهمية الحوار الحضاري

الحوار هبة إلهية للإنسان تمكنه من تطوير أساليب استدلالاته على الأشياء، فهو مجال لممارسة القوة الاستدلالية للإنسان؛ فعن طريقه يستطيع الإنسان أن يُظهر قوته العقلية وقدرته الاستدلالية، وبقدر ما يملك من آليات الاستدلال، فإنه يتملك سير الحوار.

أهمية الحوار كأداة للفكر:

بالنسبة للأهمية الآلية للحوار، فإن الحوار يعطيك حقوقاً ويوجب عليك واجبات؛ فيعطيك حق الاعتقاد والقول بحيث ترى الرأي الذي تريد، وكذلك يعطيك حق انتقاد الرأي والاعتقاد المخالف.

والحوار يوجب عليك واجبات: فمن اعتقد شيئاً أو ادعى دعوى لا بد من أن يستدل عليها، أي يقوم بتقديم الأدلة على صحة دعواه؛ كما أنه لا بد للمنتقد الذي يُطالب بالأدلة من أن يستمع أولاً إلى أدلة المدعي قبل الدخول في الاعتراض على دعواه[1].

أهمية الحوار واقعيًا:

تكمن أهمية الحوار في أنه من أنجع وسائل الإقناع، كما أنه يُعد وسيلة مهمة موصلة للتفاهم وإزالة الخلافات، فقد كان للحوار على امتداد التاريخ الأثر الأكبر في اعتناق المذاهب والأفكار، وعلى قدر قوة الحجة والبرهان يأتي الاقتناع وإزالة اللبس والغموض.

وكان للحوار دورٌ كبير في نشر الدعوة الإسلامية، وقد قص علينا القرآن الكريم نماذج متعددة للحوار بين أهل الإيمان وأهل الكفر، وحفلت السنة النبوية بنماذج متعددة كذلك، تَجلَّى فيها

(١) يُراجع: الحوار أفقا للفكر – طه عبد الرحمن، صـ٢٨، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، سنة: ٢٠١٣م.

عرض المبادئ والأفكار مع الحجج المنطقية؛ حتى قادت إلى الإيمان والإذعان.

تكمن أهمية الحوار كذلك في إثراء التنوع والاختلاف، الذي يقود بعد الحوار والتعارف إلى التعاون والتعاضد على القضايا المتفق عليها، لصالح الإنسانية.

هذا، ويُمكن إيجاز أهمية الحوار واقعيًا في النقاط التالية:

١- يُعد الحوار في المجال الأكاديمي عنصرًا محوريًا في تعزيز التعلم والبحث العلمي، من خلال المناقشات في الأواسط التعليمية، والندوات والمؤتمرات، فبه يتم تبادل الآراء بين الباحثين، والتعرف على وجهات النظر المختلفة، مما يُساهم في بناء وتطوير المعرفة.

٢- كما تتجلى أهمية الحوار في بيئة العمل المهني، من خلال تبادل المعرفة والخبرات، وتطوير مهارات العمل.

٣- وتبرز أهمية الحوار في الحياة الاجتماعية، من خلال تعزيز التفاهم المتبادل في العلاقات الإنسانية، حيث يتمكن للأفراد من التعبير عن آرائهم، مع الاستماع إلى وجهات النظر الأخرى مما يعزز الترابط الاجتماعي، ويُسهم في بناء مجتمعات أكثر تسامحًا وانفتاحًا وتقدمًا.

٤- "الحوار يُعطي للاختلاف بعدًا إنسانيًا، يضعه في شكله الطبيعي، ولا يسمح له بأن يتحول إلى طاقة تدميرية، فالحوار يخفض من مستوى سلبيات الاختلاف، ويرفع من مستوى إيجابياته، ليكون الاختلاف رحمة ويدفع إلى الاطلاع والمراجعة المستمرة"(١).

ثالثًا: أهداف الحوار الحضاري

من أهم أهداف الحوار الحضاري التعارف والتعاون والتعاضد في القضايا العالمية المشتركة، التي تهم الإنسانية جمعاء، ولا تقتصر على حضارة أو شعب دون أخر، يقول الحق ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ

(١) حوار الحضارات في منظور الثقافة الإسلامية – الأسس والقواعد، د/ محمد سيف الإسلام بوفلاقة، صـ٩٧:٩٩ بتصرف، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد: الثامن، العدد الأول، سنة: ٢٠٢١م.

عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣]

وعليه فإن "الإيمان بالتعددية والاختلاف الحضاري، وتحقيق التعاون المفضي إلى التكامل والتفاعل بين الحضارات؛ يُفضي إلى إيجاد إطار حضاري شامل يراعي الخصوصيات الثقافية والحضارية، التي يتميز بها كل طرف على حدة، ويعمل على محاربة الفكر المركزي الذي يطمح لإبقاء جذوة النزاعات مشتعلة"(١).

أما أهداف الحوار الحضاري على المستوى الإسلامي، فإنها تَكمن في النقاط التالية:

١- تأكيد دور الإسلام العالمي ومهمته السامية في تعميق القيم الإنسانية، والتي يشاركهم فيها بعض المفكرين وبعض المؤمنين من الرسالات السماوية الأخرى.

٢- إيجاد أرضية مشتركة على أساس العدل، وليس على أساس مصالح طرف واحد على حساب الأطراف الأخرى، وليس على أساس مصادرة إرادات وحريات وهويات الأمم والشعوب.

٣- العمل على إصلاح صورة الإسلام الذي أصبح في نظر الكثير من الغربيين عدو رئيسي، ومن ثَم إشاعة قيم احترام التنوع والثراء الثقافي والحضاري الموجود في العالم.

فمن أهداف الحوار الحضاري العمل على تصحيح الصورة التي روجت عن الإسلام عقيدة وحضارة، وقد اشترك في هذه الصورة الإعلامية مجموعة من الإعلاميين، الذين يستمدون مرجعيتهم الفكرية من عدد من الأكاديميين(٢).

فالحوار الحضاري يعمل على تصحيح الصورة النمطية المسبقة عن الآخر، ومن ثم يتم الاتفاق على التعاون في التماس الوسائل الفعالة لنقل العلاقة بين الطرفين من صيغة المواجهة والتناحر إلى صيغة التكامل(٣).

---

(١) الحوار الحضاري ... الحوار في اللغة – رؤية في الوسائل والأهداف –، عائشة بلعربي، مقال بمجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، السنة: ٤٤، العدد: ٥٠٠، صـ٥٦ بتصرف، ربيع الآخر، ١٤٢٨هـ.

(٢) سيتم التعرض إلى دور الإعلام والاستشراق في تشويه صورة الإسلام في الغرب، في مطلب: الصور النمطية، من المبحث الأول.

(٣) يُراجع: حوار الحضارات، د/ أحمد طالب الإبراهيمي، مجلة العربي، العدد ٤٧٧، صـ١٢٠، تصدر عن

رابعًا: ضوابط التواصل الحضاري

هناك ضوابط للتواصل الحضاري ما بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، وبيان هذه الضوابط في النقاط التالية:

١ - **الموضوعية:** فالحوار الحضاري يتطلب الالتزام بالموضوعية في طرح الأفكار والآراء، والابتعاد عن التحيز والذاتية، وذلك بالاستناد إلى الحقائق والبراهين المنطقية، وتجنب الانفعالات الشخصية التي قد تؤثر سلبًا على مسار الحوار.

٢ - **احترام الرأي الآخر:** فمن الركائز الأساسية للحوار الحضاري تقبل وجهات النظر المختلفة واحترام ثقافات وحريات الحضارات الأخرى، فالتنوع الفكري يثري الحوار ويفتح آفاقًا جديدة للفهم المتبادل.

٣ - **التركيز على الهدف:** فينبغي أن يكون الهدف من الحوار واضحًا ومحددًا، سواء كان للوصول إلى حلول مشتركة، أو تبادل المعرفة والخبرات، أو تقريب وجهات النظر، ومن ثم يتم التركيز على الهدف من الحوار حتى يثمر نتائج إيجابية تعود بالنفع على جميع الأطراف.

٤- "التعاون بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات، في القضايا المشتركة التي تهم الإنسانية.

٥- السماح بنشر العلوم الإنسانية، وعدم حكرها على أية حضارة"[(١)].

ومن الجدير بالذكر هنا أن الدعوة الإسلامية قامت بالحوار الحضاري وتبنته، منذ بعثة النبي محمد ﷺ؛ حيث قامت الدعوة الإسلامية على أُسس التسامح والتعايش السلمي مع مختلف الثقافات والديانات، "الإسلام دين يسعى من خلال مبادئه وتعاليمه إلى تربية أتباعه على التسامح مع أتباع الأديان والثقافات، والمسلمون مطالبون أخلاقياً ودينياً أن

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سنة الإصدار: ١٩٩٨م. والحوار الحضاري ... رؤية في الوسائل والأهداف –، عائشة بلعربي، مقال بمجلة الوعي الإسلامي، السنة: ٤٤، العدد: ٥٠٠، صـ٥٦

(١) التواصل الحضاري من منظور إسلامي، د/ نورة العويد، صـ٢٤ بتصرف، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٤٣هـ –٢٠٢١م.

يكونوا متسامحين مع كل البشر، بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والثقافية والدينية والأيديولوجية[1]، ولا يكتفي الإسلام بتعليم أتباعه هذا التسامح الشامل بوصفه شرطاً من شروط السلام الضروري للمجتمع الإنساني، بل يحترم ثقافته وعقيدته وخصوصياته الحضارية، وخير وصف يمكن أن نطلقه على هذا التسامح، أنه تسامح إيجابي وليس تسامحاً حيادياً، وفي هذا يقول القرآن الكريم: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨]"[2].

نعم إن هذا الحوار الحضاري يَتجلى فيه هذا المعنى الإيجابي للتسامح، فإذا قيل إن التسامح يعنى ترك الأخر على دينه وقيمه الثقافية، مع عدم المساس بحقوقه وكرامته الإنسانية، فإن التسامح الإسلامي إضافة إلى هذا، يُفضي إلى معنى أرحب وأوسع من صور التسامح، وهو البر الذي يُعد أعلى قيمة من التسامح السلبي – بمعنى إعطاء الحقوق – فالبر أعلى درجة من ذلك.

(١) الأيديولوجيا: هي النسق الكلي للأفكار والمعتقدات والاتجاهات العامة الكامنة في أنماط سلوكية معينة، وتعرف في علم الاجتماع بأنها نسق من المعتقدات والمفاهيم (واقعية ومعيارية) تسعى إلى تفسير ظواهر اجتماعية معقدة، أو هي نظام الأفكار المتداخلة كالمعتقدات والأساطير التي تؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع ما وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية وتبررها في نفس الوقت، الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي – عربي، مصلح أحمد صالح، صـ ٢٦٦، بتصرف، دار عالم الكتب – الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(٢) التسامح في الإسلام، محمود حمدي زقزوق، صـ١٥، مجلة التسامح، المجلد:١، العدد:١، الناشر: وزارة الأوقاف والشئون الدينية، عمان، سنة: ٢٠٠٣م.

المبحث الأول: تحديات الحوار الحضاري

المطلب الأول: الصور النمطية والأحكام المسبقة

تُعد مشكلة الأميّة الدينية عند أتباع الأديان والجهل بالآخر، العامل الأقوى والمباشر للأحكام المسبقة، والصورة النمطية[١] عن الآخر، هذا وقد حظي الإسلام والمسلمون بنصيبٍ كبير من تلك الأمية الدينية الكائنة في الغرب عن الإسلام والمسلمين، وكانت تلك الأمية وهذا التجهيل على نحوٍ متعمد منذ احتكاك الإسلام بالحضارة الغربية.

فالإسلام من أكثر الأديان تعرضًا للصورة النمطية إذ أن "صنع الصور النمطية المسيئة عن الإسلام والمسلمين وترسيخها في العقل الغربي ظاهرة قديمة ومتجددة، ويمكن القول بأن الإسلام كان – ولا يزال – أكثر الأديان تعرضًا للإساءة في الغرب، كما أن المسلمين هم أكثر شعوب الأرض حظًا من التشويه والتجريح في المجتمعات الغربية"[٢].

إن الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين صورة لها جذور أصيلة في الفكر الغربي، فـ"سكان أوروبا المعاصرة ورثوا عن أسلافهم من القرون الوسطى مجموعة عريضة وراسخة من الأفكار حول الإسلام والتي كانت تتغير تدريجيًا مظاهرها الخارجية فقط، تبعًا لتغير الظروف في أوروبا ذاتها وتبعًا لطبيعة علاقتها أو موقفها المستجدة مع البلدان الإسلامية وثقافتها"[٣]

---

(١) يشير مفهوم الصورة النمطية إلى: تلك الصورة التي تنطبع في الأذهان عن أشخاص أو شعوب، حاملة معها سمات غير موضوعية، في قالب ذهني يحد من التفكير في تصور هؤلاء الأشخاص أو الشعوب بصورة مخالفة لما انطبع في لذهن. تحديات الإعلام العربي: دراسات الإعلام، المصداقية، الحرية، التنمية، والهيمنة الثقافية، صالح خليل أبو أصبع، صـ١٩، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، سنة: ١٩٩٩م.

(٢) الإسلام والإعلاموفوبيا – الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف، المحجوب بن سعيد، صـ٩، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، سنة: ٢٠١٠م.

(٣) الإسلام والمسيحية، أليكسى جورافيسكى، ترجمة خلف الجراد، صـ٦٨،٦٩، عالم المعرفة . الكويت . ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

هذه الصورة النمطية والأحكام المسبقة، تُعد أكبر تحدٍ للحوار الحضاري، إذ إنها تُحول الاختلافات إلى نزاعات فكرية وثقافية – هي أقرب إلى الوهم من الحقيقة – يستحيل معها مجرد التفكير في الاقتراب أو الحوار مع الآخر، الذي ترسخ في الذهن جهله وتطرفه.

إن استمرار وجود الصور (النمطية) لدين عند آخر، أو لحضارة عند أخرى، يؤدي إلى تغذية ضروب الكراهية الجماعية، خاصة في المجتمعات التي تنتشر فيها الجهالة والتعصب، فيتحول الاختلاف إلى نزاع ، وإذا نشب النزاع قد يتحول إلى عنف.

فمن أبرز التحديات الراهنة تصاعد حملات التشويه والتشهير الأيديولوجية والسياسية، التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون في الغرب، من خلال وسائل الإعلام ومراكز البحث والقرار[1].

العوامل المساعدة على تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين:

لقد ساعدت عدة عوامل على تكوين هذه الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين، تتمثل في (الاستشراق القديم والمعاصر، الإعلام الغربي، الكتب المدرسية في الغرب، بعض التجارب الخاصة مع المسلمين في الغرب)، وبيان هذه العوامل فيما يلي:

أولا: الاستشراق القديم والمعاصر، ودوره في تقديم الصورة النمطية:

قديمًا كانت أغلب الدراسات الاستشراقية تتعامل مع الإسلام كدين، والمسلمين كشعب، بمنهجية غير موضوعية، تم بثها وتعميقها من الخلفيات الدينية والاستعمارية، فكان يتم إلصاق التهم الحضارية، والشبهات الاستشراقية تجاه مصدري الإسلام (القرآن والسنة)، وتجاه حضارة المسلمين وتاريخهم، ويتم تصويرهم في هيئة المتعطشين للدماء والتدمير والعنف...

وبنظرة فاحصة لما يكتبه المستشرقون سوف "يلاحظ أي باحث موضوعي أن الأغلبية من مستشرقي القرن التاسع عشر والقرن العشرين لم يتخلصوا من المواقف المسبقة الموجهة ضد الإسلام، سواء أكان عداؤها صريحًا مباشرًا وعنيفًا أم كان يتسم

(١) ينظر: الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات، يوسف الحسن، صـ٤٨ بتصرف، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، ط١، سنة: ط١٩٩٧م.

بعدم الارتياح للشعوب الإسلامية[١].

وفي الواقع المعاصر لا تزال الكتابات الاستشراقية تُعذي هذه الصور النمطية، فعلى سبيل المثال نجد "برنارد لويس"[٢] "الذي قدم صورة صادمة للإسلام والمسلمين باعتبارهم أصوليين مقاتلين خطرين في كتابه "الأصولية الإسلامية"، وكان هذا الكتاب في أصله محاضرة ألقيت سنة ١٩٩٠م باسم محاضرة "جيفرسون المهيبة"، وهو أعلى شرف تمنحه حكومة الولايات المتحدة لباحث تقديرًا لإنجازاته في مجال الدراسات الإنسانية، ثم نُشرت بعد ذلك صورة منقحة من المحاضرة، كان عنوانها "جذور الهياج المسلم" لتكون المقالة الرئيسية في Atlantic Monthly، ويمثل تغليف "جذور الهياج المسلم"، وغلاف المجلة، والصورتان المنشورتان مع المقالة هذه الصورة النمطية التي تقوم على الانتقاء.

إن مثل هذا التعزيز للأنماط الشائعة عن المسلمين والأصولية الإسلامية؛ يهيئ القارئ سلفًا لأن يرى علاقة الإسلام بالغرب في ضوء العنف والغضب واللاعقلانية والكراهية.

وبسبب مكانة لويس الدولية باعتباره باحثًا ومعلقًا سياسيًا على الشرق الأوسط، فإن موضوعه ومنصته العامة البارزة "جذور الغضب الإسلامي" حاز تغطية واسعة على الصعيد المحلى وعلى الصعيد الدولي. وكان له أثر على الفهم الغربي للإسلام المعاصر وعلى الفهم الإسلامي للكيفية التي يرى بها الغرب الإسلام والمسلمين"[٣].

ولا تزال الكتابات الاستشراقية تتوالى في هذا السياق إذ تقول "Shireen Hunter"

---

(١) الإسلام والمسيحية، أليكسى جورافيسكى، صـ١٠٥.

(٢) برنارد لويس (Bernard Lewis) (ولد في ١٩١٦ – وتوفي ٢٠١٨) من مواليد لندن ببريطانيا. أستاذ فخري بريطاني–أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون، ومستشرق يهودي. وتخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب، وتشتهر أعماله حول تاريخ الدولة العثمانية. وهو من أبرز المخططين لمشاريع تقسيم الوطن العربي. ينظر: الموسوعة الحرة: ويكيبديا، الرابط//

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%A٨%D٨%B١%D٩%٨٦%D٨%A٧%D٨%B١%D٨%AF_%D٩%٨٤%D٩%٨٨%D٩%٨A%D٨%B٣

(٣) التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة، جون ل. إسبوزيتو، ترجمة: قاسم عبده قاسم، صـ٣٠١ بتصرف، دار الشروق، القاهرة: الطبعة الثانية، سنة: ٢٠٠٢م.

في كتابها مستقبل الإسلام والغرب، وهي تصف وتؤطر لتلك الصورة النمطية التاريخية عن الإسلام والمسلمين: "إن الإسلام كان لأكثر من ألف سنة العدو الرئيس للغرب المسيحي، والآخر المعادي له، وبهذه الذاكرة الثقافية الراسخة لن يكون استحضار صورة العدو الإسلامي مفاجئًا؛ لأن هنالك ميلًا ثقافيًا وتاريخيًا لرؤية الإسلام عدوًا لدى جانب كبير من النخبة والعامة في الغرب"(١).

بل إن هنالك عددًا من الباحثين الذين يتم وصفهم بالصفة العلمية قد تورطوا في هذا المزلق فعلى سبيل المثال نجد العالم الأنثروبولوجي المشهور "إرنست غلنر"(٢) "والذي له دراساتٌ عن المغرب ومصر وطبائع الإسلام والشرق الأوسط، ووجهة نظره: أنّ الإسلام يملك جوهراً ثابتاً تتوالى عليه الأزمان فيتغير المظهر دون الجوهر. ومعنى ذلك أن الأصولية متأصلة فيه؛ وفي ظروف الأزمات تعود للظهور والسواد، باعتبارها الجزء الأصيل من ماهيته"(٣).

والذي ساعد ووطن لهذه الصورة النمطية في كتابات المستشرقين أنهم تعاملوا مع الإسلام بذلك الموروث الثقافي لديهم عن الدين.. "فإن الكتابات الغربية، والفرنسية على الخصوص لعدة أسباب، أحاطت الحضارة الإسلامية بسوارين من سوء الفهم، الأول:

---

(١) مستقبل الإسلام والغرب صدام حضارات أم تعايش سلمي؟ ، شيرين هنتر، ترجمة: زينب إبراهيم شوربا، صـ٢٠٠، مركز الدراسات الإستراتيجية للبحوث والتوثيق، ط١، بيروت، سنة: ٢٠٠٢م.

(٢) إرنست غلنر (١٩٢٥ – ١٩٩٥م) أنثروبولوجي وفيلسوف بريطاني تشيكي الأصل، من أبرز مفكري القرن العشرين، الذي خصصت له عشرات الكتب وندوات ومقالات في مختلف أرجاء العالم، وتُرجمت كتبه إلى عدة لغات. لكن لم تترجم أعماله إلى اللغة العربية، على الرغم من أن المجتمع المسلم والإسلام من بين ميادين دراسته. فما عدا كتاب (مجتمع مسلم) كان خصب الإنتاج، وكان المغرب، بصفته نموذجا للمجتمع المسلم، ميدان بحثه الأنثروبولوجي الأول في أواخر خمسينيات القرن الماضي. في أصول القومية بالبلاد المغاربية: إرنست غلنر ومفهوم الثقافة العليا، رحال بوبريك، صـ٣٣، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، مجلد: ٩، عدد: ٣٥، سنة: ٢٠٢١م. والمجتمع مسلم، إرنست غلنر، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر، صـ٧:٩، بيروت: دار المدار الإسلامي، سنة: ٢٠٠٥م.

(٣) من الاختلاف الى الصراع: الخطابات الأميركية والعربية بعد ١١ سبتمبر، د/ رضوان السيد، صـ٤٧:٤٨ بتصرف، مقال منشور بدار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، مجلد: ١٤، عدد:٥٤، سنة: ٢٠٠٢م.

همجية المسلمين، والثاني: العصبية الدينية، وقد تعامل هؤلاء مع مسألة الدين بالحمولة الثورية التي خلفها صراعهم مع الكنيسة، وأصبح الدين عندهم – بغض النظر عن مضمونه – مقترنًا بالعصبية والأنانية والعمى الثقافي

ويمكن القول بأن غياب التعريف بالحضارة الإسلامية، شكل لدى الآخر أحد الثغور التي شغلتها كتابات المستشرقين، كذلك والمستعربين في العقود الأولى من القرن العشرين، وأواخر القرن التاسع عشر، ومع التقدير والامتنان للمنصفين من هؤلاء"[١].

ثانيًا: الإعلام ودوره في الصورة المسبقة:

لقد تجاهل كثير من المثقفين – على المستوى الغربي – مقتضيات حقوق الإنسان، ومبدأ التعدد الفكري "الذي لا توجد تعددية سياسية حقيقية في غيابها، وبدل السعي إلى التعرف على الحضارات الأخرى، حفلت الوسائل الإعلامية الغربية بأن تعرض رأيًا واحدًا في أمور تهم غير المتكلمين عنها، وأصبح المواطن الغربي عرضة لهذا الرأي الواحد، المستفرد بالمشاهد، وبعيدًا عن أي رأي آخر، قد يعري منظومة ذلك الرأي الواحد، ومع شدة الإقبال للمواطنين في الغرب على التعرف على الإسلام والمسلمين، بمحض إرادتهم، إلا أن كثيرًا من المثقفين لا يزالون يستخفون بتلك العقول، التي قطعت مرحلة طويلة وشاقة من المتاهات المعرفية العقلية، والنظريات الفلسفية قبل أن تستقر على بَر الإسلام، فقد كانوا يعتبرون الإسلام مجرد دعوة للإرهاب، والمسلمين همجًا ورعاعًا، متعطشين للدم"[٢].

لقد عملت وسائل الإعلام الغربية بشكل مباشر على تكوين صور نمطية مشينة عن المسلمين والإسلام، من خلال الصحف والمجلات والإذاعات المختلفة، حتى في الأفلام والكتابات الهزلية، فعلى الرغم من أنه لا يمكن لأي من المجموعات أن تحمل

---

(١) الإسلام وأسئلة الحاضر، سعيد بنسعيد العلوي، صـ١١٥:١١٧ بتصرف واختصار، منشورات الزمن للنشر والتوزيع، الرباط، سنة: ٢٠٠١م.

(٢) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ٤٥ بتصرف واختصار، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)، المغرب، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م.

المواقف العنصرية الصارخة (مثلاً السود الصينيون السكان الأصليون الهنود)، إلا أن هذا لا يزال مقبولًا عندما يكون موجهًا ضد العرب والمسلمين، "ومن المحتمل ألا تكون هناك جماعة دينية أو عرقية تتعرض لهذا القدر من الذَّم المستمر والشديد في الإعلام كما تعرض له العرب خلال العقدين الأخيرين.

فالمسلمون في الواقع يواجهون وفي كل مكان، بأفكار مشوهة وتعابير سلبية، وتعرّض المسلمون العرب لمزاعم خاطئة تتناول دينهم وثقافتهم من قبل وسائل الإعلام. وبينما ساهمت التربية الرسمية بالعديد من المفاهيم الخاطئة عن العرب، صدرت مفاهيم خاطئة بكميات أكبر عن التربية غير الرسمية المتمثلة بالإعلام والثقافة الشعبية كالأفلام، والتلفزيون، والإذاعة، والصحف والكتب الهزلية، والإعلانات"(١).

وعلى سبيل المثال أحد البرامج الإعلامية التعليمية الغربية، تعمل على تعليم الأطفال من خلال تقديم قصص ممثلة، يتم فيها تجسيد "وظهور المسلم العربي في صورة شخص شرير لا يستطيع التعلم سوى إنه يعيث في الأرض فسادًا ولا يسلم منه شيء في الوجود، وفي المقابل تظهر شخصية البطل الأمريكي أو الغربي في صورة رجل خير جرئ ذو أخلاق دمثة، ويتصدى دائمًا للرجل العربي المسلم حتى يقضي عليه"(٢).

فهذا الإعلام الغربي بكل أشكاله وأنواعه لا يزال يؤدي هذه الصورة النمطية تجاه الإسلام والمسلمين، ولابد لتغيير تلك الصورة من دعوة الطرف الآخر في الحوار معه إلى مراجعة تلك الأنماط من العرض الإعلامي، الذي لا يُجسد الواقع، ولا يُمثل الصورة الصحيحة عن الإسلام والمسلمين.

ثالثًا: الكتب المدرسية الغربية ودورها في الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين:

إن الصورة النمطية لم تقتصر فقط على الإعلام، بل ساعد على ترويجها عدد من المقررات الدراسية، تذكر الأستاذة "زيغريد هونكه"(٣) نصًا دراسيًا لأطفال أوربا، يقول

---

(١) التربية الخاطئة للغرب، كيف يُشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام، جوكينشلو وشيرلي شتاينبرغ، ترجمة: حسان بستاني، صـ٢٥٤:٢٥٥، دار الساقي، بيرون – لبنان، ط١، سنة: ٢٠٠٥م.

(٢) صورة العرب في أمريكا، د/ روتوبيت . ترجمة أ/ ثابت عيد، صـ٢٣ بتصرف، نهضة مصر . ط١ . ٢٠٠١م.

(٣) زيگريد هونكه (Sigrid Hunke) (١٩١٣ – ١٩٩٩) مستشرقة ألمانية معروفة بكتاباتها في مجال

الكاتب فيه: "وتدفقت جموع العرب المتوحشين بوجوههم السوداء، وخيلهم الكئيبة فوق أرض إسبانية، التي تركها أهلها فزعًا، وانثنت الأرض ألمًا تحت وقع سنابك خيولهم، التي خربت الحقول وهدمت المنازل ولم تترك نبتاً ولا زرعاً"، ثم تعلق على هذا النص قائلة: هذا هو النص الذي يقرأه أطفال المدارس اليوم في الغرب عن فتح المسلمين للأندلس، وما الحدث الذي كان يمكن أن يحدث لبلدان الغرب لو لم يهزم "شارل مارتل" العرب، ويُخلص أوروبا المسيحية من شرورهم .. والواقع أن مثل تلك الكتابات قد ألفناها في الغرب وتعلمناها حتى ظننا أنها حقائق لا تقبل الشك كاعتقادنا بأن العرب ليسوا بأصحاب مدنية وحضارة، وأنهم مجرد وسطاء عملوا على نقل حضارة الإغريق إلينا...

ثم تتابع فتقول: أو ليس من العجيب أن نتساءل لماذا نفسر الأحداث كما يحلو لنا، حقًا إن العرب قد احتلوا فعلًا جزءاً من أوروبا هو "الأندلس" ولكنهم لم يقضوا على المسيحية التي تم الزعم بأن "شارل مارتل" قد حافظ عليها وحماها، ولم يقضوا على المدنية الغربية، هذه المدنية التي لم يكن لها وجود!! لقد حول المسلمون الأندلس في مائتي عام التي حكموها من بلد جدب مستعبد فقير إلى بلد عظيم مثقف مهذب، يقدس العلم والفن والأدب، فقدَّموا لأوروبا سبل الحضارة وقادوها في طريق النور"[(١)].

إن مما لا شك فيه أن مثل هذه الكتابات المقررة على تلاميذ المدارس في الغرب، هي وسائل رسمية للتعلم عن الثقافات الأخرى، "والوصف الذي يستقيه الطلاب من كتبهم المدرسية عن الثقافات الأخرى، إنما هي انطباعات رمزية، وهم لا يحاولون عادة

الدراسات الدينية، وحصلت على شهادة الدكتوراه عام ١٩٤١. اشتهر عنها في آخر حياتها أنها كانت تنظر للإسلام نظرة معتدلة كما هو واضع من أشهر كتاباتها انتشارا في العالم العربي وهما "شمس الله تشرق على الغرب" وكتاب الله ليس كذلك". موقع المعرفة، الرابط// https://www.marefa.org/%D8%B2%D9%8A%DA%AF%D8%B1%D9%8A%D8%AF_%D9%87%D9%83%D9%86%D9%88%D9%87

(١) شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوربا"، هونكه زيغريد، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، صـ٥٣٩:٥٤١ بتصرف واختصار، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، سنة: ١٩٩٣م.

التعمق فيها طلبًا لحقائق أخرى. وبما أن تلك النصوص المعدة للتربية مشحونة بمثل هذه المفاهيم الخاطئة والمغلوطة، تجاه دول أخرى، فإن الغربيين مؤهلين للتعلم في سن مبكرة كيفية صياغة ونشر أفكار مشوهة، كذلك مؤهلون لإصدار أحكام تقييمية بحق الآخرين من خلال سنواتهم المدرسية.

إن مما يؤسف له أن نظرة بلاد الغرب إلى الثقافات العربية والإسلامية غير مستمدة فقط من وسائل الإعلام، بل يُغذي هذه النظرة تلك الكتب المدرسية، والعديد من الكتابات الاستشراقية، فغالباً ما يُعطى لهؤلاء الأولاد الغربيون في عمر مبكرة صورة سلبية عن المسلمين والعرب، وتؤدي الكتب المدرسية دوراً حيوياً ومميزاً في التأثير في الانطباعات والتفاعلات الاجتماعية للطلاب"[١].

رابعًا: اعتبارات أخرى للصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين

ومما يُشكل تلك الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين تلك "التجارب الفردية في المجتمعات الغربية، والمتعلقة بالمسلمين أو ببلادهم ومجتمعاتهم، سواء كانت عن طريق الزيارات السياحية، أو التعليقات على الأحداث والسلوكيات في العالم الإسلامي.

كذلك مما يشكل صورة المسلمين لدى الغرب، سلوكيات الأقليات الإسلامية، سواء فيما بينها، أو في علاقتها بالمجتمعات الغربية، ويدخل في ذلك أنماط الحياة الاجتماعية؛ والثقافية في المجتمعات الإسلامية المهاجرة، ويضاف إليها الزائرون والسائحون من الدول الإسلامية في الغرب"[٢].

كل هذه العوامل المتعددة من دور الأقليات الإسلامية، والبرامج التعليمية، ووسائل الإعلام والكتابات الاستشراقية، – تعمل بشكل مباشر في تكوين صورة الغرب عن العالم الإسلامي، وهذه الصورة المسبقة سواء المروية أم المتناقلة عن المسلمين

---

(١) التربية الخاطئة للغرب، كيف يُشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام، جوكينشلو وشيرلي شتاينبرغ، صـ٢٥٤:٢٥٥ بتصرف.

(٢) الحوار مع الغرب: تحديات وتعقيدات، د/ عبد الله الأشعل، مقال بمجلة الداعي، الجامعة الإسلامية – دار العلوم، السنة: ٢٧، العدد، السابع، صـ٣١ بتصرف، سنة: ٢٠٠٣م.

والمجتمعات الإسلامية لدى الغرب، تتشكل خارج البلاد العربية والإسلامية، ويتم إلصاقها بسياقات أحداث العالم الإسلامي.

إن مثل هذه الصور النمطية والأحكام المسبقة، والتي تُغذيها التأثيرات التاريخية والموروث الثقافي تقف كأكبر حاجز أمام حوار حضاري بين الشرق والغرب، وهذا يستلزم العمل على تصحيح تلك الصورة النمطية، من خلال عدة محاور تتمثل فيما يلي:

أ- عرض وإبراز الكتابات الاستشراقية المنصفة عن الإسلام والحضارة الإسلامية، والتي كتبت بأقلام مستشرقين لهم قدم في الدراسات الاستشراقية.

ب- دعوة الدول الغربية إلى فلترة وتنقية الكتب الدراسية من الأحكام المجحفة – التي يزرعونها في أطفالهم – تجاه الإسلام والمسلمين.

ج- العمل على تكوين خط دفاعي إعلامي، يُبث باللغات الغربية لتصحيح الصورة القائمة عن الإسلام والمسلمين في بلاد الغرب.

د- الاستفادة من الأقليات المسلمة في البلاد الغربية، فهي عند اندماجها وتعايشها مع المجتمع الغربي تنقل صورة صحيحة أو مغلوطة عن الإسلام والمسلمين، ومن ثم يجب العناية والاهتمام بأحوال تلك الأقليات من نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة بينهم، والعمل على تجنيبهم مزالق التطرف والإرهاب الفكري، الذي تعمل أجندات معينة على بثه بين الأقليات المسلمة في دول الغرب.

كل هذا من شأنه أن يعمل على تصحيح تلك الصور النمطية، وبذلك يتم تهيئة الأجواء للحوار الحضاري الفعال، الذي يقوم على الموضوعية والنزاهة.

المطلب الثاني: اختلاف القيم والمفاهيم

المقصود باختلاف القيم والمفاهيم تلك القيم الخاصة بكل حضارة وأمة، وتمثل لها خصوصية ثقافية تتحاكم إليها، أما المشترك الإنساني من القيم الإنسانية والحضارية فهذا مما يجب ألا تختلف فيه الحضارات والثقافات، وما دام الأمر كذلك فيجب أن لا يمثل هذا الاختلاف حول هذه القيم الخاصة، أي تحدٍ أو معوق للحوار الحضاري، بيد أن الإشكال يكمن في أنَّ بعض الحضارات تريد تعميم قيمها الخاصة، جبرًا وقسرًا على بقية الحضارات والشعوب، وناحية أخرى تريد اختزال القيم الإنسانية والحضارية المشتركة، وفقًا لتصوراتها ومفهومها الخاص، وهذا مكمن النزاع والتحدي للحوار الحضاري، وبيان هذين الأمرين فيما يلي:

أولا: القيم الخاصة وإرادة تعميمها

ومن أبرز القيم الخاصة التي يريد الغرب تعميمها القيم الاستهلاكية، والنزوع إلى الكم والنسبية، ومن ثَمَّ تدعو الدول الغربية إلى هذه القيم من منطلق تعميم هذا التصور وهذا المفهوم للنمو والتطور، "إلا أنَّ ما تدعوه المجتمعات الغربية الحالية "نموًا" أو تطورًا إنما يعرف بمعايير أضيق، وهي معايير من جانب واحد، معايير اقتصادية حيث الازدياد الكمي في الإنتاج وفي الاستهلاك، دون الرجوع إلى صفة الحياة أو إلى مشروع إنساني، فالغرب يقارن اليوم، ويصنف تسلسل المجتمعات والشعوب بحسب تلك المعايير التي تعتمد "الناتج القومي الخام".

وهذه النظرة للنمو تستند إلى نظرية ترى أن الازدياد الاقتصادي هو المعيار الأول والوحيد لتقدير جميع أشكال الحياة الاجتماعية، وأن هذا الازدياد لا يعرف إلا تعريفاً كمياً، بغض النظر عن أية غائية إنسانية، وبالتقدم التقني وحده، ولو كان تقدمًا مدمراً، وبالتنظيم الاجتماعي ولو أثمر الاضطهاد والانخلاع"[1].

تلك النظرة الاقتصادية البحتة أصابت القيم الإنسانية في مأزق، إذ تُجردها من كل معنى

(١) في سبيل حوار الحضارات، روجيه غارودي، تعريب عادل العوا، صـ٣٩ بتصرف، عويدات للنشر والطباعة، بيروت – لبنان، ط٤، سنة: ١٩٩٩م.

أخلاقي "وهكذا نجد أن أوربا النازعة إلى (الكم) وإلى (النسبية) قد قتلت عددًا كبيرًا من المفاهيم الأخلاقية، حين جردتها من أوصافها النبيلة، وأحالتها ضروباً من الصعلكة، وكلمات منبوذة في اللغة طريدة من الاستعمال ومن الضمير، وكأنما صارت القواميس (أحيانًا) مقابر لكلمات لا توحي بشيء؛ لأن مفهومها لا ينبض بالحياة. ولقد تعاظم خطر تلك النزعة الكمية في أوربا طبقًا للعامل المضاعف المتمثل في القوة الفنية، والذي تملكه صناعة غزت العالم، يتضاعف معها بصورة هائلة شهوة الإنسان إلى المادة"(١).

إن هذه النظرة المادية الاستهلاكية لحوار الحضارات يتعارض مع أغلب ثقافات وقيم المجتمعات والحضارات الشرقية، ويكمن التحدي لحوار الحضارات في ذلك أن الغرب يريد تعميم وفرض تلك القيم المادية على كل الحضارات والشعوب، فـ"المجتمع الغربي يزعم أنه يتخذ هذا الإنسان التقني مقياس الأشياء كلها، ومركز المبادهة التاريخية الوحيد، ومبدع القيمة الوحيد، ومن ثم، فهو ينكر أو يهدم جميع الثقافات اللاغربية، وكل الطرائق الأخرى التي تتناول بالفكر وبالحياة علاقة الإنسان بالطبيعة وبالبشر وبالإلهي"(٢).

فالغرب يريد تعميم أُنموذجه القيمي المادي، وفي ذات السياق يتنكر للثقافات الخاصة ويعاديها، ويجعل منها عدوًا وخطرًا يهدد كيانها يقول "فوكوياما"(٣): "إن الإسلام

---

(١) مشكلات الحضارة – وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، تقديم عمار طالبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، صـ١٥٤ بتصرف، دار الكتاب المصري، سنة: ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

(٢) في سبيل حوار الحضارات، روجيه غارودي، تعريب عادل العوا، صـ٣٤:٣٥ بتصرف.

(٣) هو: يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما (Yoshihiro Francis Fukuyama) ولد في مدينة شيكاغو الأمريكية، في عام (١٩٥٢)، لاب أمريكي من الجيل الثاني للمهاجرين اليابانيين، لم يتعلم فوكوياما اللغة اليابانية: وقد صنف نفسه مبكراً بصفته شخصا لا أدريا (Agnostic / شكيا، إذ قال: إن من الصعب عليه أن يكون مؤمنا. حصل على الدكتوراه في الفلسفة السياسية من جامعة هارفارد وعمل في قسم العلوم السياسية بمؤسسة رائد (RAND)، اكبر المؤسسات البحثية العالمية القريبة من وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، كما عمل في وزارة الخارجية الأمريكية، وكان يُعد في مرحلة ما من أهم مفكري أو منظري تيار المحافظين الجدد، في الولايات المتحدة. وسبب شهرة فوكوياما، هو كتابه نهاية التاريخ والإنسان الأخير. فوكوياما ونهاية التاريخ: مقاربة نقدية أولية، د/ خلف الجراد، صـ١٦، مجلة المعرفة، وزراة الثقافة، سنة: ٥٩، العدد: ٦٨٨، سنة: ٢٠٢١م.

يشكل أيديولوجية متماسكة ومتسقة شأن وله معاييره الأخلاقية الخاصة به، ونظريته المتصلة بالعدالة الاجتماعية والسياسية كذلك. فإن للإسلام جاذبية عالمية، وهو يدعو إليه البشر كافة باعتبارهم بشرًا لا مجرد أفراد في قومية معينة أو جماعة عرقية. وقد تمكن الإسلام في الواقع من الانتصار على الديمقراطية الليبرالية في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي، وشكل بذلك خطرًا كبيرًا على تلك الممارسات الليبرالية، حتى في الدول التي لم يصل فيها إلى السلطة السياسية مباشرة"(١).

ثانيًا: اختزال القيم الإنسانية

ومن صور هذا الاختزال ما يحدث عند تفسير المفاهيم الأساسية (مثل الحرية، العدالة).

"ففضاءات الحرية (الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية) التي لا يماري فيها أحد، ولا ينكرها عاقل، هي التي لا تنال من حقوق الأخرين ولا كرامتهم، وإلا صارت فوضى لا انتظام لها، فالمراد بالحرية: هي الحرية المنضبطة...

ولكن ثقافة الحرية في الغرب تخالف ذلك، إذ يُريدون من حرية المعتقد التفلُّت من أي التزام ديني، وحرية القدح في الأديان الأخرى، ثم إشاعة التحلل والتفسخ الخلقي باسم الحرية، فـ"أصحاب هذه الدعاوى لا يقصدون الحرية إلا في جانب الاعتقاد من أجل تفتيت العقيدة، وحرية السلوك لتدمير الأخلاق، فلا ينادون بالحرية كما بينها الإسلام مثلاً للشعوب المقهورة المغتصبة أرضها كفلسطين.. فهم يغضون الطرف عمّا يرون من ظلم وإجرام، بزعم أن لليهود مطلق الحرية في التصرف للحفاظ على دولتهم الديمقراطية المزعومة! وفي الحقيقة نحن أمام تمييز ديني، ولغوي وعرقي.... كذلك ينسبون سبب كل رذيلة وتخلف – بحق أو بباطل – يرونه بيننا إلى الإسلام، ولولا الإسلام لعمت الديمقراطية والحرية.. هكذا، وهم أنفسهم الذين احتلوا الشعوب سنين طويلة، أذاقوهم فيها الذل والهوان...

---

(١) نهاية التاريخ، فوكوياما، صـ٥٦، نقلًا عن: الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار، محمد إبراهيم مبروك، صـ٢٤بتصرف واختصار، مركز الحضارة العربية، ط١، القاهرة، سنة: ٢٠٠٢م.

هذا في تعاملهم مع المجتمعات العربية والإسلامية، أما عند التأمل في الحياة الغربية فنجد النقيض من ذلك، فلا ترى أبدًا الشعوب هناك حرة بلا قيد؛ وإلا تحولت الحياة إلى عبث، ولا يوجد شعب على الأرض ليس عليه قيود وضعية أو شرعية"(١).

وتأسيسًا على ذلك يمكن القول بأن "طبيعة النزاع الراهن بين المسلمين والغربيين، هو نزاع بين حق المسلمين في الاختلاف وبين حرية الغربيين في التعبير، فرؤية المسلمين للتعبير تخالف كلياً رؤية الغربيين له، إذ ينزلون القول منزلة الفعل، فتكون حرية التعبير من وجهة نظرهم بمنزلة حرية التغيير فمن عبر، فقد غير؛ في حين أن العربي لا يرى فيها إلا مجرد إبداء رأي مثله مثل غيره، لا يلزم إلا صاحبه، ومعلوم أنه لم يتقرر في حريات الفرد حرية تسمى "حرية الفعل" أو "حرية التغيير" كما تقررت حرية القول أو حرية التعبير، وحينئذ، ألا يلزم الغربيين عند ممارسة حريتهم في القول والتعبير عن آرائهم في الدين الإسلامي ما يلزمهم عند ممارسة أفعالهم وأعمالهم التي عليها من القيود ما ليس على أقوالهم وعباراتهم، ولها من الحدود ما ليس لهذه الأقوال والعبارات؟"(٢).

ومن اختزال القيم كذلك، مفهوم العالمية والمشترك الإنساني، فالإنسان يعيش على كوكب واحد يتقاسم موارده، وتجمعه قضايا اقتصادية وبيئية، كما يجمعه الكثير من المشتركات الإنسانية في القيم، تلك المشتركات العالمية من شأنها أن توحد لا أن تفرق، إلا أن "مزاعم الغرب في العالمية (العولمة) تضعه بشكل متزايد في نزاع وصدام مع الحضارات الأخرى، وأولها الحضارة الإسلامية والصينية، إن العالمية التي يدعوا إليها الإسلام تخالف العولمة التي تدعوا إليها الولايات المتحدة الأمريكية، فعالمية الإسلام قائمة على العيش المشترك بين المسلمين وغيرهم، وعلى التفاعل بين الثقافات في ظلال الهوية الإسلامية المتسامحة، فهي لا تهيمن على الأخر بل تؤكد وجوده، وتنميه وتدعمه في علاقة حضارية تفاعلية، بينما الثانية مبنية على الهيمنة والاستغلال والقضاء على الثقافات الأخرى، فهي تصور الآخر على أنه متعصب ومتخلف، ويشكل خطرًا على العالم؛ لأنه إرهابي أخذ من الإسلام أساليب الترهيب، ليرهب بها الإنسانية،

(١) حوار الحضارات – المحددات والضوابط، د/ فهد بن عبد العزيز عبد الله السنيدي، صـ١٥٨ باختصار.
(٢) الحوار أفقا للفكر – طه عبد الرحمن، صـ١٧٨.

وهو ما يطلق عليه في الغرب "الإسلاموفوبيا"(١).

إن معظم المجتمعات والشعوب تبدو غير مطمئنة إلى هذا الكم الكبير من القيم والمفاهيم، وأفكار العولمة الثقافية التي يُروج لها عبر الفضائيات، ومن خلال آخر تقنيات المعلومات والاتصال، "ومن ثمة تمرير الثقافة الأمريكية على أنها نموذج لثقافة عالمية ينبغي نشرها، ولم يحدث على مدار التاريخ أن أصبح العالم مقبلًا على معطيات ورموز وسلع الثقافة الاستهلاكية، كما هو مقبل عليها في هذا الوقت الراهن، وقد ساعدت الثورة التكنولوجية في مجالات الاتصال – التي جعلت العالم قرية واحدة – على هذا، وبالتالي ساعدت في توحيد كثير من الثقافات"(٢).

وعلى الجانب المقابل يمكن أن تؤدي العولمة دورًا إيجابيًا، فهي بما حققته من تقدم علمي وتكنولوجي ومعلوماتي واتصالاتي غير مسبوق؛ أذابت عوائق الزمان والمكان وتضاعف التعامل والتواصل بين الشعوب والمجتمعات، ولكن ليس من شأن ذلك أن يقضى على التعددية الثقافية، والخصوصية الحضارية لكل شعب وأمة، أو يفرض معايير موحدة أو يخضع الآخرين لمصالح مجتمع بعينه، أو رؤية حضارة واحدة لمشكلات العالم، إلا أنَّ ما تهدف إليه العولمة الثقافية هو إيجاد ثقافة عالمية، تعنى بتوحيد القيم وحصر الثقافات في ثقافة واحدة، وهي الثقافة الغربية وبالذات الأمريكية، وجعلها النموذج العالمي، مستغلة التقدم التكنولوجي في مجال الاتصالات، وما ترسله عبر الفضائيات من المواد الإعلامية، وتفريغ العالم من الهوية القومية والوطنية والثقافية والدينية(٣).

---

(١) صدام الحضارات أم حوار الحضارات؟ دراسة مقارنة في جدلية الفكر الغربي والفكر الإسلامي، د/ عمر خروبي بزارة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، المجلد: ١٣، العدد:٢، صـ٢٤٨ بتصرف واختصار، سنة: ٢٠٢١م.

(٢) وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، وليام ل. ريفرز، تيودور بيترسون، جاي و.جنس، ترجمة إبراهيم إمام، صـ٣٠١:٣٠٢ بتصرف، دار الفكر العربي، سنة: ١٩٧٥م.

(٣) يُراجع: حوار الحضارات، د/ وليد عبد الناصر محمود، صـ١٠٣، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١، سنة: ٢٠٠٧م. العولمة مقاومة واستثمار، د/ إبراهيم بن ناصر الناصر، صـ٢٧، من إصدارات مجلة البيان، ط١،

إنَّ الغرب يريد أن يتخذ من الحوار ستارًا لتجميل صورته، دون أن يتزحزح قيد أنملة عن مواقفه تجاه العرب والمسلمين، وتجاه القضايا الفكرية والسياسية التي تمثل عقبة كؤودة للحوار الحضاري...

ومن ثم يريد تطبيق رؤيته الواحدة على غيره من الحضارات والشعوب، واختزال كل القيم في قيمه واختزال كل الحضارات في أُنموذجه الحضاري، حتى في تعامله وتعايشه مع الدين، يريد من كل الحضارات أن تتعامل معه بنفس المنطلق والمفهوم الذي تعاملت به الحضارة الغربية مع المسيحية، ولكن هذا ما تأباه الخصوصيات الثقافية والدينية فـ"للمسلمين تعاملهم الخاص مع الدين، كما لهم تصورهم الخاص عن التعبير؛ ذلك أن صلة المسلم بالدين تخالف كلياً صلة الغربيين به، إذ تعلقه بدينه لا يزال أقوى من تعلقه بروحه، في حين أن الغربي لا يري في دينه ما يستحق أن يُضحي الفرد أجله، وعندئذ، ألا يلزم الغربيين في الكلام عن الإسلام على الأقل، ما يلزمهم في الكلام عن الفرد وحقوقه، ما دام الدين عند المسلمين أولى بالاحترام من الفرد؟"(١).

إنَّ أكبر تحدٍ للحوار الحضاري يتمثل في تلك النزعة العالمية، التي يجسدها الغرب في ميادين الثقافة والفكر، ويريد من جميع الأمم أن تنساق خلفها، "ناهيك عن مقتضيات الحداثة – بمفهومها الغربي – في العلاقات بين الجنسين واللباس، التي تجعل الرؤية الغربية معيارًا للحق والباطل، وبمقدار بعدك وقربك من النمط الحداثي في الثقافة والعلاقات الاجتماعية والسياسة، يقاس مدى تحضرك وتخلفك، دون أن تُفسح للطرف الآخر أن يقارن بين النظرتين على الأقل؛ احترامًا للملايين من المسلمين حول العالم"(٢).

إنَّ الحوار لا يأتي إلا مع الاختلاف، فكيف يكون هناك حوار مع إرادة الوحدة المزعومة من قبل الغرب، فلا بد للغرب أن يتراجع عن عالميته المزعومة، ويفتح آفاق الحوار حول القضايا العالمية المشتركة، ويترك الحضارات المختلفة تحيا وفقًا لثقافتها وقيمها الخاصة، التي لا تنال من هذه الحضارة الغربية وأفكارها.

سنة: ١٤٢٦هـ.

(١) الحوار أفقا للفكر – طه عبد الرحمن، صـ١٧٧.

(٢) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ٤٥ بتصرف.

المطلب الثالث: الصراعات السياسية والاقتصادية

يُعد الاقتصاد والسياسية من أهم محاور الحوار الحضاري، وفي ذات الوقت يشكلان معًا أبرز التحديات والعوائق التي تواجه هذا الحوار وذلك عند طغيان حُب التملك والسيطرة.

أولا: التنافس الاقتصادي كتحدٍ للحوار الحضاري

شكلت السيطرة السياسية الاقتصادية منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر – مرحلة الاستعمار الغربي أكبر معوق للتواصل الحضاري، إذ كانت دول الاحتلال الغربي تعمل جاهدة على استنزاف مقدرات العالم الشرقي، دون محاولة التعاون معه في أي وجه من وجوه التعاون الفكرية والثقافية، بل على العكس من ذلك تمامًا؛ حيث تدفقت الأموال على المستشرقين لدراسة أحوال العالم العربي والإسلامي، فيما يصب في خدمة الاحتلال الغربي.

هذا التحدي لا زال قائمًا – حتى بعد رحيل الاحتلال الغربي من بلاد العالم الإسلامي – إذ لا يزال التدخل الاقتصادي قائمًا وبشكل غير مباشرٍ، في سياسات بعض الدول الفقيرة؛ حيث تتدخل الدول الكبرى بفرض سياساتها الاقتصادية من خلال الشركات متعددة الجنسيات، التي لا يَحكمها في الغالب القانون الوطني.

وتتدخل كذلك من خلال صندوق النقد الدولي، الذي كان أحد أهداف تأسيسه مساندة ومساعدة الدول الفقيرة، ولكنه تحول في النهاية لخدمة سياسة التمركز الاقتصادي، ثم الاستحواذ الغربي تحت ظلال شركات عالمية يتحدث "جراهام فوللر"[(١)] عن أثر سياسات الغرب الاقتصادية في إثارة عداء المسلمين للغرب فيقول: "صندوق

(١) هو: غراهام إي فاولر (Graham Fuller)، ولد في ١٩٣٧م، النائب السابق لرئيس المجلس القومي للاستعلامات في المخابرات الأمريكية. وهو مسؤول ما يعرف بالاستشراف الإستراتيجي بعيد المدى، ألف العديد من الكتب حول الإسلام والشرق، منها "الجمهورية التركية الجديدة"، و"الجغرافيا السياسية لإيران، و"عالم بلا إسلام"، و"مستقبل الإسلام السياسي. من المكتبة الأجنبية: مستقبل الإسلام السياسي، د/ بدر الدين مصطفي، مقالة بمجلة العربي، العدد: ٦٣٨، سنة: ٢٠١٢م.

النقد الدولي يفرض قرارات اقتصادية محددة وجامدة على الحكومات واقتصادات العديد من دول العالم الثالث، دافعًا بها في اتجاه سياسات تقشف اقتصادية، هي كارثة سياسية تهدد الاستقرار الاجتماعي، وتبدأ هذه السياسات باقتطاع الدعم المقدم من السلع الأساسية مثل السكر والخبز وزيت الطعام؛ حيث تؤثر هذه الاستقطاعات على الفقراء.

ومن ثَمَّ ترى شعوب المنطقة أن سياسة الانفتاح والخصخصة أو الإصلاح الاقتصادي لا يفعل شيئًا سوى أنها تفتح الباب لنمو فئة محدودة وقليلة من أغنياء التجار الجدد، وتزيد الهوة بين الفقراء والأغنياء، وتخلق حالة من التضخم المتعاظم بما له من آثار مفجعة على الطبقات الدنيا والوسطى التي تعيش على حد الكفاف، وفي نهاية المطاف تصير اقتصاديات الدول تحت إرادة مجموعة من الشركات العالمية"(١).

وفي واقع الأمر أن هذا التوجه لا يُجسد كل الدول الغربية؛ حيث "توجد نوايا صادقة وقوى حية بالدول الغنية، تريد علاقة أكثر إنسانية بين أمم الأرض، لكن هذا المطلب يلزمه من جهة الدول الغنية دعم واستحقاق اقتصادي كبير، ليس من قبيل المعونات المشروطة؛ لأن إنسان الدول الفقيرة لن يتحمس لتحالف يضعه في هامش الدنيا، فلابد أن تُكفِّر الدول الغنية عن خطأ ثرائها الفاحش – الذي كان من مقدرات وثروات الجنوب – والذي تستعرضه أمام أنظار فقراء الجنوب، كذلك بعض دول الجنوب الغنية غير مستثناة من هذا الاستحقاق.

إن كلبًا يعيش في الشمال يستهلك من الترفيه والغذاء والتنظيف والتطبيب ما يسع حيًا كاملًا في دول الجنوب، حينها ستكون دعوات الرفق بالحيوان أكذوبة ما دام الإنسان يموت أمام الشاشات، ويذهب قُوتُه إلى الكلاب، التي هيأها الله لتعيش في العراء، وتخدم الإنسان، إن الأمم المتقدمة اليوم تحتاج إلى روحانية الدين، لتستشعر إنسانيتها قبل أن تستشعر حيوانية الكلاب"(٢).

وهي بحاجة إلى مد يد العون الاقتصادي والتقني لشعوب العالم الثالث؛ دعمًا

---

(١) الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار، محمد إبراهيم مبروك، صـ٢٣.

(٢) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ٩٢ بتصرف واختصار.

لاقتصاد بلادها، وفتحًا لآفاق الحوار الحضاري والسلم والسلام الأممي، الذي لا يشع إلا في بيئة عالمية آمنة مستقرة فكريًا واقتصاديًا.

ثانيًا: النزاعات السياسية كتحدٍ للحوار الحضاري

السياسة والاقتصاد وجهان لعملة واحدة، فلتحقيق المصالح الاقتصادية تتدخل السياسات، ولنجاح المساعي السياسية تتبلور محاور وأبعاد الاقتصاد..

وإن كان الاستعمار الغربي انقضى مع النصف الثاني من القرن العشرين، إلا أن العالم الغربي لا يزال يوجه العديد من الاحتلال أو الغزو على مناطق من العالم الإسلامي، تحت حجج واهية، أبرزها القضاء على الإرهاب ونزع أسلحة الدمار الشامل، فعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة: ٢٠٠١م، . وفي ٧ أكتوبر ٢٠٠١ شن الجيش الأمريكي عملية الحرية الدائمة بالتعاون مع المملكة المتحدة. ولتبرير الحرب زعمت إدارة بوش أن سيادة أفغانستان مجرد "سيادة انتقائية"، وأن التدخل كان ضروريًا، لأن طالبان هددت سيادة بلاد أخرى، وساندت قوات الناتو تلك الحرب في أفغانستان والتي دامت لمدة ٢٠ عامًا.

وفي سياق آخر تشن الولايات المتحدة حربًا على العراق، تحت مبرر نزع أسلحة الدمار الشامل، وساهمت مع الولايات المتحدة الأمريكية قوات مشتركة من المملكة المتحدة وأستراليا وبولندا، في حين اثبت الوثائق البريطانية أن: "بلير وبوش" كانا متأكدين قبل الغزو بعامين من عدم قدرة نظام صدام حسين على تطوير أسلحة محظورة(١).

ولا تزال الدول الغربية – حتى الآن – تساعد وتعاضد الاحتلال الإسرائيلي لجزء من قلب العالم الإسلامي العربي، فـ"إسرائيل في حدودها المصطنعة في فلسطين ليست إلا عاصمة الصهيونية الممتدة والمتشعبة عبر شبكات سياسية واقتصادية وثقافية، تتغلغل في مفاصل عديدة من دول العالم..، إن المعطيات تؤكد أن مصلحة إسرائيل وأمنها القومي يرتبط بسيادة الصراع في العالم، وليس لإسرائيل مصلحة يمكن أن تجنيها من وراء السلام العالمي، ولو سلمنا جدلًا بأن إسرائيل قد أصبحت دولة عادية – وطريقة تأسيسها وعمرها يأبيان ذلك – فإن صراعها مع العالم الإسلامي صراع حياة أو

(١) ينظر: موقع bbc عربي، الرابط// https://www.bbc.com/arabic/middleeast-٦٤٥٠٠٨٥٤

موت، فليس أمام إسرائيل إلا افتعال أسباب الصراع، ولو أدى ذلك إلى زعزعة مصالح داعميها وحلفائها، وهذا يظهر من الغطرسة التي تواجه بها بعض الدول الغربية، التي تنتابها صحوة ضمير – والضمير هناك بالفعل موجود تمثله كثير من الحكومات والجمعيات والقوى المدنية والأكاديمية، والمنظمات غير الحكومية – فتصادم مصالح إسرائيل دون قصد"[1].

فهذا الاحتلال الإسرائيلي المدعوم من قبل دول الغرب، يُجسد أكبر تحدٍ للحوار الحضاري في أصله، ولابد لدول الغرب من السعي قدمًا وبجدية لإزالة هذا التعدي على حقوق الشعب الفلسطيني، وإنهاء هذا الاحتلال الذي يفرض الحرب بديلًا عن الحوار، متجاوزًا كل الأعراف والقوانين والمؤسسات الدولية.

(١) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ٦٣ بتصرف واختصار.

المطلب الرابع: التطرف والتعصب

يُعَدُّ التطرف والتعصب مانِعًا أوليًا من ممارسة الحوار مع الآخر، فتطرف الأفكار والمبادئ يكون باتهام الآخرين بما ليس فيهم، أو التجني على حقوقهم، أو في الاعتداد بالنفس والتعالي على الغير...

وكثيرًا ما يؤدي التطرف والتعصب إلى رفض الآخر وعدم الاعتراف بحقه في الاختلاف، ومن ثَمَّ انتشار خطاب الكراهية والعنف، ثم يَعقُبه ظهور التيارات المتطرفة... فإذا حدث حوار في ظل هذا الوضع فحتمًا سيُؤثر التعصب والتطرف على فرص الحوار البناء.

وفي ظل الحضارة الغربية الحديثة نجد هذا التطرف والتعصب قديمًا – في أُكذوبة الرجل الأبيض، الذي من حقه وحدة السيطرة والتحكم والتملك.. – وحديثًا في وصف الحضارة الغربية المعاصرة بالتفرد والتميز، وأنه ينبغي على كل الحضارات أن تحذو حذوها وتقتدي بها، ثم بعد أن كان التميز على أساس العرق والجنس يأتي التميز على أساس الدين؛ وذلك حين "يتنكر بعض مثقفي الغرب لمبدأ عدم التمييز على أساس الدين، وهم يصنفون الناس ويستطلعون نواياهم، ويصدرون الأحكام النهائية في حقهم لمجرد المظهر أو اللباس، وينتهكون الحرية الشخصية عندما يُصرون على نزع حجاب المرأة المسلمة، ويزرعون بذور العداوات حين يعزلون المهاجرين اجتماعيًا، ويرغمونهم على التخلي عن الخصوصية القومية، مع أنهم يمارسون كل حرياتهم كأجانب في بلاد المسلمين، ويُقَدَّرون أحيانًا أكثر مما يُقَدَّر أهل البلد، ومع ذلك يكون الغرب متسامحًا والشرق متطرفًا.. !إنه مرض قديم لم يتقدم الغرب في علاجه.."[1].

ومن ناحية أخرى يتم التجني على حضارة المسلمين وعلى دينهم؛ حيث يتم وصفهم بالهمجية والدونية والتعطش للدماء، ومما يؤسف له أن كتابات بعض المفكرين تُوصل ذلك الجانب المتطرف والمتعصب، فنجد ذلك في كتاب صدام الحضارات وصراع

(١) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ١١٢ بتصرف.

الحضارات "لصامويل بي. هانتنغتون" الذي عنون كذلك: "بإعادة إنشاء النظام العالمي" هذا الكتاب الأكثر شعبية لهذا التقليد المتطرف في بلاد الغرب، "والفرضية التي يَنطلق منها أن العنف والهمجية هما ميزتان أساسيتان للمسلمين، لكن "هانتنغتون" حولهما إلى إيديولوجية أكثر اتساعًا"[١].

والأعجب من تلك الكتابات هو أن يتم تبنى هذه الرؤية المغلوطة في سياسات كبرى الدول الغربية، فـ"الإيديولوجية القائلة بأنه لا محال من حدوث صراع للحضارات بين الأمم المسيحية الغربية والمجتمعات الإسلامية الشرقية، باتت من صلب الخطاب الذي تعتمده السياسة الخارجية الأميركية، وتؤكد الإيديولوجية أن الإسلام الذي يميل إلى سفك الدماء سيستمر بتقليده الحربي ضد الغرب، إن لم تقم الولايات المتحدة باتخاذ إجراءات حاسمة في شأن خطابها السياسي، هذا، وقد أغفلت من فرضية "هانتنغتون" فكرة أن المسلمين كثيرًا ما كانوا ضحايا العنف الغربي!!"[٢].

ومن ثَمَّ يَتم التعامل مع العالم الإسلامي بهذه النظرية المتعصبة والمتطرفة فكريًا وسياسيًا واقتصاديًا؛ حيث تُسخّر كل القوى العالمية للتعامل وفق هذه الإيديولوجية، وعلى سبيل المثال هناك "تقرير وضعه مجلس الأمن القومي الأمريكي، يعتبر فيه أنَّ كثرة السكان وتزايد النمو الديموغرافي بالعالم الثالث (العربي والإسلامي)، يُشكل خطرًا على الأمن القومي الأمريكي، سياسيًا واستراتيجيًا واقتصاديًا، وتم نشر الوثيقة التي ترمي إلى ضبط السكان في العالم باسم: NSSM ٢٠٠ وقد زكى هذه الدعوة ربطها بالدعم الذي يقدمه صندوق النقد الدولي، للدول الراغبة في الاقتراض[٣].

إن قضية حوار الحضارات لا بد لها كي تقوم أولًا على تصحيح مثل هذه المسارات الغربية المتطرفة، – التي تتحامل وتتجنى على المسلمين والعالم الإسلامي – ويجسدها واقعيًا تلك المنصات الإعلامية الغربية التي تُغذي وترسخ هذا التجني وتلك

(١) التربية الخاطئة للغرب، جوكينشلو وشيرلي شتاينبرغ، صـ٣٨.

(٢) المرجع السابق، صـ٣٩.

(٣) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، هامش صـ٤٦.

المفاهيم المغلوطة، "ومن الأمثلة على هذا، ذلك التهويل الإعلامي الغربي لمفهوم الإرهاب والاقتصار في رصده وإدانته الأخلاقية للعمليات المتطرفة التي تقوم بها مجموعات مسلحة مع التغاضي عن عمليات الإرهاب المبرمج الذي تمارسه بعض الدول، كما هو الشأن في العدوان على الفلسطينيين وعلى البوسنة والشيشان"(١).

إنه لا زال يكمن في العقلية الغربية حتى الآن مثل هذا التعصب والتطرف الفكري والديني والسياسي حيال المسلمين، ومثل هذا "الواقع المكفهر يثقل خطى المؤمنين بالحوار، ويعصف في لحظة واحدة، بما يتم تشيده في سنوات، فانفجار واحد – مثلًا – في إحدى مطارات أوروبا، يتناوله الإعلام الغربي على أنه إرهاب إسلامي، مع وجود العديد من الجماعات المتطرفة والمنظمات الإرهابية في العالم الغربي، إلا أنَّه يحشر المسلمون دائمًا في قفص الاتهام، وتبدأ محاكمتهم على الهوية، ويتعسف المحللون في ربط الانفجار بوجود المسلمين في بلاد الغرب، وبالحجاب، واللحى، وهي كلها نوايا سيئة، أو رعونات نفس خبيثة"(٢).

وقضية الحوار لابد لها من تصفية النوايا حيال الآخرين، والبحث عن سبل التقارب والتعارف لا المسارعة في توجيه الاتهامات دون دليل، وهذا ما يدعو إليه الدين الإسلامي الحنيف، يقول المولى ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقد توجد في بعض الأحيان داخل المجتمعات الإسلامية بعض المظاهر للتعصب ضد الآخر، ساهمت في تغذيتها الصراعات السياسية، والاستعمار الغربي، وفي أحيان أخرى أدت بعض التفسيرات المتشددة للنصوص الدينية إلى تغذية هذا التعصب، رغم أن الإسلام في جوهره يدعو إلى التسامح والتعايش.

وتتجلى مظاهر التعصب في صور متعددة، منها: رفض الحوار مع المخالفين في الرأي، كما يظهر التعصب في استخدام خطاب الكراهية وممارسات الإقصاء، بالإضافة

(١) حوار الحضارات، د/ أحمد طالب الإبراهيمي، مجلة العربي، العدد ٤٧٧، صـ١٢٠.

(٢) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ١٠٥ بتصرف.

إلى الصراعات المذهبية بين الفرق الإسلامية المختلفة، مما يسهم في تشويه صورة الإسلام والمسلمين على المستوى العالمي، ويبقى الأمل في إمكانية تجاوز هذه الظاهرة من خلال التركيز على إحياء قيم التسامح والتعايش التي يدعو إليها الإسلام، فلا وجه للتعصب لجنس أو قومية أو لغة، إذ سبب الاختلاف ومرده إلى التعاون والتعارف، فلا ميزة لجنس ولا قبيلة على أخرى.

المطلب الخامس: ضعف اللغة المشتركة.

تمثل اللغة أداة أساسية للفهم والحوار، وبدون الفهم اللغوي للآخر يتعذر ويستحيل التفاهم حول أبجديات الحياة، "فاللغة هي أداة الفعل الحضاري، ووسيلة التكوين، والتشكيل الثقافي.. إنها وعاء الهوية، وأداة التواصل بين الأجيال.. هي التراث، والحاضر، والمستقبل، لأنها طريقة الفهم للتراث، والتاريخ، والقيم.."(١).

ولأهمية اللغة في التواصل والحوار مع الآخر، جاء أمر النبي ﷺ لصاحبه الجليل زيد بن ثابت ﷺ بتعلم لغة أهل الكتاب فعن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ "أَتُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ؟" فَقُلْتُ: لا. قَالَ: "فَتَعَلَّمْهَا، فَإِنَّهُ يَأْتِينَا كُتُبٌ". قال زيد: فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا(٢).

وانطلاقًا من الأهمية اللغوية في التواصل الحضاري، يمكن القول بأن ضَعف اللغة المشتركة يشكل تحديًا كبيرًا أمام الحوار الحضاري، وجوهر المشكلة يَكمن في أن غياب لغة مشتركة قوية بين الثقافات المتحاورة يشكل حاجزًا ومانعًا أمام التواصل الفعال والتفاهم المشترك، وهذا الغياب والضعف يتجاوز فهم المعاني اللغوية، بل يمتد ليشمل الفجوات في فهم السياقات الثقافية، والدلالات الضمنية للكلمات والتعبيرات، فعندما يتحاور ممثلو الحضارات المختلفة، فإنهم لا يتبادلون مجرد كلمات، بل يحملون معهم منظومات كاملة من المعاني والقيم والخبرات التاريخية.

ولو أخذنا على سبيل المثال مفهوم "الحرية"، وبالرغم من أنه قد يبدو مفهومًا وقيمة

---

(١) الإسلام وصراع الحضارات، د/ أحمد القديدي، تقديم: عمر عبيد حسنة، صـ٣٩..

(٢) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، حديث رقم: ٣٦٤٥، جـ٣، صـ٣١٨، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م. وقال محققه: حديث صحيح. وأخرجه الحاكم واللفظ له، في المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب: معرفة الصحابة ﷺ، باب: ذكر مناقب زيد بن ثابت كاتب النبي ﷺ، حديث رقم: ٥٧٨١، جـ٣، صـ٤٧٧، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

عالمية، إلا أن تطبيقه وتفسيره يختلف اختلافًا كليًا وجذريًا بين الثقافات، ففي حين تركز بعض المجتمعات على الحرية الفردية تتجاوز من خلالها مبادئ عامة أخرى، نجد أن مجتمعات أخرى تولي أهمية أكبر للتوازن بين الحرية الفردية والمسؤولية الاجتماعية، ومثل هذا التباين في فهم مفهوم أساسي كالحرية يمكن أن يؤدي إلى سوء فهم وخلافات جوهرية، إذا لم يتم استكشافه وتوضيحه بشكل كافٍ.

ولعل من أهم التحديات التي يفرضها ضعف اللغة المشتركة، هو تأثيره السلبي على حل المشكلات والنزاعات وبناء السلام العالمي، فالدبلوماسية الفعالة والوساطة الناجحة تعتمدان بشكل كبير على القدرة على فهم وجهات النظر المختلفة، والتعبير عن المواقف بدقة ووضوح، وعندما تكون هذه القدرة محدودة، فإن فرص سوء الفهم، وتصاعد التوترات تزداد، مما قد يؤدي إلى تفاقم الصراعات بدلاً من حلها.

قد يكون هناك الكثير في العالم العربي والإسلامي ممن يجيدون اللغة العالمية اليوم – الإنجليزية –، ولكن أغلب هؤلاء في المسار الأكاديمي أو العلوم التطبيقية، ومع أهمية ذلك إلا "أن العلوم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية تعد اليوم أكثر ضرورة من العلوم المادية، فهذه تعد خطرًا في مجتمع ما زال الناس يجهلون فيه حقيقة أنفسهم، ومعرفة إنسان الحضارة وإعداده أشق كثيرًا من صنع محرك أو ترويض قرد على استخدام رباط عنق" [(١)].

إن الكثيرين من القائمين على الحوار الحضاري والتواصل بين الحضارات، لا يزال يُشكّل لديهم ضعف اللغة حاجزا لفهم الآخر، ويحتاجون في كثير من الأحيان إلى الترجمة، تلك الترجمة التي تمثل إشكالًا آخر تحفّه عدة مخاطر، تكمن في نقل المعاني بصورة حرفية، أو ترجمة المعاني بحسب فهم المترجم وخلفياته العلمية، لا بحسب ما يقصد المتحدث.

وفي الجانب المقابل نجد أن الاهتمام باللغة العربية من قبل الغربيين، لا يتجاوز المجال الأكاديمي – الاستشراقي – في التعامل مع نصوص التراث الإسلامي، أو تقديم دراسات عن

(١) مشكلات الحضارة – وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، تقديم عمار طالبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، صـ٤٠.

الواقع المعاصر في البلاد العربية والإسلامية، وفي الغالب تكون تلك الدراسات ذات توجه سياسي أو اقتصادي، فلا يزال هناك قصور واضح في التواصل اللغوي من قبل الغرب، يُعوق مسيرة الحوار الحضاري والتواصل مع العالم الإسلامي.

ومن الجدير بالذكر أن تأثير ضعف اللغة المشتركة لا يقتصر على التواصل المباشر فحسب، بل يمتد ليشمل التفاعلات عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، ومع تدفق المعلومات وزيادة التواصل في عصر التقنية الرقمية، أصبح تداول الأفكار والآراء عبر الحدود القارية أمر لحظي، إلا أن هذا التداول السريع يحمل معه مخاطر سوء الفهم، والتفسير الخاطئ، خاصة عندما يتم نقل المحتوى من لغة إلى أخرى دون مراعاة كافية للفروق الثقافية. وعندما تكون قدرات الترجمة محدودة، فإن فرص بناء جسور التفاهم والتعاون الحقيقي تتضاءل، مما يؤدي إلى حوار سطحي لا يلامس جوهر القضايا الإنسانية المشتركة.

وعلى الرغم من التقدم الهائل في تقنيات الذكاء الاصطناعي، إلا أن الترجمة الآلية لا تزال عاجزة عن نقل الدقائق الثقافية، والتعبيرات الاصطلاحية بشكل كامل؛ هذا القصور يمكن أن يؤدي إلى تشويه الرسائل وتعميق سوء الفهم، خاصة في القضايا الحساسة أو المعقدة، "وبالرغم مما تقدمه هذه التقنيات من إفرازات ومساهمات، إلا أنّه لا يمكن أن تتعدى طاقات وإمكانيات الإنسان، كما أنها لا تخرج عن حقيقة كونها واحدة من التكنولوجيات المبتكرة، التي تخضع لإرادة الإنسان من أجل تلبية رغباته، وبالتالي فهي تترجم إلى حد ما – يقل أو يكثر – هذه الرغبات، فعوض التركيز على هذه الأدوات والمنتجات، نجد أنه من الأجدر أن يتوجه التركيز الأكبر إلى المسيرين والفاعلين الحقيقيين لهذه الوسائل"[(١)].

فالتبادل المعرفي والفكري الحقيقي يتطلب قدرة على فهم وتقدير المفاهيم والأفكار في سياقها الأصلي، ثم بعد ذلك إعادة صياغتها بشكل يتناسب مع السياق الثقافي

(١) حوار الحضارات بين الفكرة والتطبيق، د/ بلبول نصيرة، صـ٣٦٧، مجلة آفاق للعلوم، المجلد الخامس، العدد: ١٨، سنة: ٢٠٢٠م.

الجديد، وهذه العملية المعقدة لا زالت تفوق قدرة الذكاء الاصطناعي، وتصير أكثر صعوبة وإشكالية في ظل غياب وضعف اللغة المشتركة.

ومما يجدر التنبيه إليه في هذا السياق: أن إتقان اللغات الأخرى وإجادة التعبير بها لا يعنى إهمال اللغة الأم، أو أن تستبدل اللغة الأم من قبل الأمة بلغة الحضارات الأخرى مهما كان تقدمها ورقيها المادي، فاللغة تُمثل سياجا ثقافيا وفكريا لحضارة الأمم والشعوب، ومن هنا فإن اللغة كانت "ولا تزال، مستهدفة من قبل الآخر، في عملية الصراع، والاستعمار، والحوار الحضاري، فالأمة التي تلغي لغتها في المعهد، والجامعة، والمدرسة، والكتاب، والمصدر، والمرجع، هي أمة متوقفة حضاريًا عن الإبداع والامتداد، ومهزومة حضاريًا، إن صح التعبير، مهما حاولنا التخفيف من آثار ذلك، أو الادعاء بأن اللغة هي وسيلة تعبير، وتفاهم فقط، لا علاقة لها بالتفكير، أو الفعل الحضاري"(١).

إن اللغات – وعلى وجه الخصوص اللغة العربية – لا تُمثل أداة للتعبير فحسب، بل هي "مفتاح المعرفة، والسمة الحضارية للأمة، وفي بلداننا العربية في الواقع المعاصر أضحت اللغة العربية مهددة من قبل أبنائها؛ حتى صاروا يفضلون المدارس الأجنبية – التي تتبنى التدريس باللغات المختلفة بديلًا عن اللغة العربية – على المدارس المحلية، إنَّ اللغة العربية بغزارتها، وثرائها، أصبحت سبة؛ بسبب العجز الحضاري لأبنائها، والمدارس العربية تخرج أفواجًا من المغتربين في بلدانهم، فتجد الواحد منهم يستقيم نطقه باللغة الأجنبية ويتلكأ عند النطق بالحرف العربي، وأعطيت للغات التي تسمى اللغة الثانية الاهتمام الذي لم يعط للغة القرآن!!"(٢).

وإذا كان تعلم اللغات أمرٌ حتمي في التواصل والحوار الحضاري، فإن هذا لا يعني تشجيع تعلم اللغات الأجنبية وإهمال اللغة الأم، بل يتطلب تطوير مهارات التواصل بين الثقافات، وزيادة الوعي بالفروق الثقافية، وتعزيز القدرة على التفكير النقدي والتحليل المتعمق للرسائل والأفكار، مع ضرورة التفكير بشكل جدي في استراتيجيات لتعزيز

(١) الإسلام وصراع الحضارات، د/ أحمد القديدي، تقديم: عمر عبيد حسنة، صـ٣٩..

(٢) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ١١٠ بتصرف.

التواصل اللغوي بين الحضارات.

إن التغلب على تحدي ضعف اللغة المشتركة هو مسعى طويل الأمد؛ يتطلب جهودًا متواصلة ومتعددة الأبعاد والمرامي، فهو ليس مجرد مسألة تقنية أو لغوية، بل هو في جوهره تحدٍ إنساني، يتطلب جهودًا متضافرة على المستوى الفردي، والمؤسسي والحكومي، ومنظمات المجتمع المدني، ولابد أن ينبثق من انفتاح فكري، وتسامح ثقافي، ورغبة حقيقية في فهم الآخر، ومن خلال تلك الجهود المستمرة يمكن بناء جسور حقيقية للتفاهم والحوار بين الحضارات.

ومما تجدر الإشارة إليه في جانب تحديات الحوار الحضاري على المستوى الإسلامي:

بداية فإن الجانب الإسلامي لم يقف أبدًا في وجه أي حوار حضاري، أو بمعنى آخر لا توجد لديه عقبات خارجية تمنع من إجراء هذا الحوار في أصله.

إلا أنه يمكن القول بوجود بعض التحديات الداخلية التي تؤثر على قدرة التفاعل الإيجابي في هذا الحوار حال حدوثه، تتمثل فيما يلي:

– ضعف المؤسسات الثقافية والعلمية، وتراجع دور المفكرين والمثقفين في قيادة الحوار، كما أن الانقسامات السياسية والمذهبية تضعف قدرة العالم الإسلامي على تقديم خطاب حضاري موحد.

– يشكل ضعف البحث العلمي وقلة الإنتاج المعرفي تحديًا كبيرًا في مجال الحوار الحضاري، والذي تزيده الفجوة التكنولوجية بين العالم الإسلامي والغرب، إذ تؤثر على قدرة المسلمين على المشاركة الفعالة في الحوار العالمي.

– ضعف الحضور الإعلامي الإسلامي على المستوى العالمي، مما يحد من القدرة على إيصال الصورة الحقيقية للإسلام.

المبحث الثاني

الدعوة الإسلامية ودورها في مواجهة تحديات الحوار الحضاري

الدعوة إلى الحوار من أهم خصائص الدعوة، فدعوة رسالة الإسلام شاملة لكل الناس على اختلاف عقائدهم وأجناسهم، وهي دعوة للمخالف قبل الموالي، يقول الحق ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فهذا خطاب الله ﷻ لأهل الإيمان بأن يقولوا لكل المخالفين "تعالوا إلى أن نجتمع ونلتقي حول الأصول المشتركة" تعالوا إلى إحقاق الحق ونشدان الصواب، فهي دعوة "للحوار مع الآخر، وإتاحة الفرصة لتبادل الرأي؛ حتى يتم الوصول إلى قناعات معينة، أو إلى صيغ مشتركة، للتفاهم والتعاون، الذي هو مطلب إسلامي، فالحوار إحدى وسائل الدعوة والبلاغ، فإذا توافر للحوار شروطه، من تحرير موضوع الحوار، وإتاحة الفرص المتكافئة، والالتزام بآدابه، وأخلاقه، فيكون هذا الحوار أكثر من مطلب إسلامي، أو أحد خيارات المسلم، إنه تكليف شرعي، يقع تحت مدلول قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ذلك أن الدعوة إلى الإسلام، وسبيله، محلها ابتداء: هو الآخر"(١).

فالحق سبحانه وتعالى يخاطب الرسول الكريم ﷺ بهذه الآية وجميع المؤمنين، "والمعنى ادع أيها الرسول جميع المكلفين الذين بعثت إليهم، ادعهم إلى الإسلام، بالحجج المزيلة للشبهة، الموصلة إلى اليقين، وبالنصائح الجميلة المرغبة في الحق والخير، المنفِّرة من الباطل والشر، ومن جادلك منهم فجادلهم بأحسن طرق المراجعة

(١) الإسلام وصراع الحضارات، د/ أحمد القديدي، تقديم: عمر عبيد حسنة، صـ٢٦ بتصرف، سلسلة كتب الأمة، ذو الحجة ١٤١٥هـ. مايو ١٩٩٥م

والمجادلة، أَي باللين والرفق، وإنما لم يقل: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أَحسن؛ لأن الجدال ليس طريقًا أصيلًا في الدعوة إلى الله ﷻ، وإنما يكون عند المراجعة والمحاورة بقصد إظهار الحق والرجوع إليه والطمأنينة به، لا لقصد إفحام الخصم وغلبته، فمنهج القرآن الحكيم في دعوته وهدايته، قائم على الحجج القاطعة، والنصائح الرشيدة الهادية، في كل ما دعا إليه، وما جاءَ به"(١).

وموضوع هذا الحوار هو البر والتقوى اللّذَيْن يُلخصان موضوع التعاون، وكونه يتعلق بالدنيا والدين، وبكل ما فيه خير للإنسان، يقول الحق ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢]

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، إعداد: لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مراجعة: مصطفى محمد الحديدى الطير، (٧٠٤/٥)، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، سنة: (١٣٩٣ - ١٩٧٣م).

المطلب الأول: التأكيد على قيم الحضارة الإسلامية في احترام الآخر

تُعد الحضارة الإسلامية رائدةُ الحضارات الإنسانية في تكريم الإنسان واحترامه وتقديره؛ لكونه إنسانًا بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى، نجد هذا التكريم الإنساني للإنسان صريحًا في قول الحق ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومن هنا فإنَّ "الإنسان هو قوام هذه الحياة، والمُخول بالتصرف في خيراتها، وهو المُوجه لكنوزها، والمستخلف فيها، فالإنسان محور النشاط في الكون، سخر الله له ما في السموات والأرض جميعًا، فكل ما في الأرض والكون لخدمته، حقًا إن الإنسان شيء ضئيل بالنسبة لسعة الكون من حيث حجمه وحياته وجسمه، ولكنه من حيث كيانه المعنوي وروحه شيءٌ كبيرٌ، وحقًا إن الإنسان من حيث عمره القصير على وجه الأرض ذرة في صحراء الأزمنة الجيولوجية الضاربة في أغوار القدم، ولكن المؤمنين يوقنون بأن الموت ليس نهاية الإنسان، ولكنه محطة انتقال إلى الخلود وإلى الدار التي لا نهاية لها"(١).

ولذا نجد الخطاب القرآني الفريد والموجه لهذا الإنسان، يُرشده ويُبصره بمهمته على وجه الأرض؛ فيؤسس له قواعد السلوك الإنساني الرشيد، الذي به تتناغم الحياة بين البشر في إطار هذا التكريم الإلهي، ومن ثم فإن "الحضارة الإسلامية تقوم على أسس عميقة وراسخة، تتمثل في رصيد ضخم من القيم الإنسانية التي لابد منها لقيام الحضارة البشرية، وهي مع هذا الرصيد الهائل من القيم لا تنكر الإبداع المادي في الأرض؛ لأنه يعد من وظيفة الإنسان الأولى منذ أن وجد على ظهر الأرض، ولكنها تنفخ فيه الحياة المطمئنة وترشده؛ لتحقيق غاية الوجود الإنساني في الحياة، لأن قضية التصور الإسلامي الأساسية هي الإنسان، وقضية وجوده في هذا الكون، وقضية علاقته بهذا الكون وما فيه، وعلاقته بخالق هذه الأحياء، وقضية علاقة الإنسان بالإنسان وسلوكه

(١) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، توفيق يوسف الواعي، صـ٣١١ بتصرف واختصار، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، سنة: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

على وجه الأرض، وقضية الخلافة وتحقيقها في الأرض"[1].

ففي إطار الحوار الحضاري ينبغي التأكيد على تلك القيم الإلهية في التكريم الإنساني، والتي تتجسد في عدة مبادئ وركائز من أهمها ما يلي:

١ - **الكرامة الإنسانية**، والتي تعني أن الإنسان بفطرته عزيز مُقدّر، لا ينبغي إهانته أو الانتقاص من قدره، تلك الكرامة تلازم الإنسان ولا تفارقه بغض النظر عن أي اعتبارات خارجية كالوضع المادي أو الثقافي أو القوة الجسدية أو المهارات المختلفة...

ومن هنا جُعلت الكرامة الإنسانية أصلًا ومرتكزًا لحقوق الإنسان، ونجد مظاهر تلك الكرامة في الإنسان تتبلور في قضية التسخير الإلهي للكون في مصلحة الإنسان وخدمته، وفي قضية الاستخلاف، نجد ذلك في مثل قول الله ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴾ [يس: ٧١]. وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠]

٢ – ومن منطلق تلك القيمة الكبرى (الكرامة الإنسانية) تتفرع عنها عدة قيم أخرى في احترام الإنسان وتقديره، فتأتي قيمة التعارف والتعاون، إذ تُفضي الأولى إلى الثانية في ثنائية مشتركة هي مطلوبة للتقارب والتكامل الإنساني، ولذا يأتي نداء الحق ﷻ للإنسانية جمعاء بأن يتعارفوا ويتعاونوا فيقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات: ١٣]

وتأتي ضرورة وأهمية التعاون في أنه ركيزة في إنجاز الأعمال الكبرى، "التي لا يمكن للفرد أن يقوم بها وحده، وبالتعاون تقام المؤسسات والشركات والمصانع، وبالتعاون تكون القوة وفي التفرق يكون الضعف، وبالتعاون تكون مواجهة الأخطار والكوارث وبالتعاون يكون التقدم والإنتاج، وبه يكون الشعور بالمساواة في الإنسانية، فتعاون الأفراد نحو الخير يحقق الخير للجميع، وتعاون الشعوب والمجتمعات نحو نزع فتيل الشر

(١) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، توفيق يوسف الواعي، صـ٢١١.

وهجر الحروب تحقق السعادة والرفاهية للجميع"[١].

ومن هنا تُعد قيمة التعارف والتعاون مدخلًا رئيسيًا ومرتكزًا أساسيًا في الحوار الحضاري بين الأمم والشعوب، من خلاله يتم القضاء على النزاعات والحروب، ليحل محلها السلام والوئام بين أمم العالم وحضارات الشعوب.

٣ - **قيمة المساواة:** التي عدها الإسلام مبدأ أصيلًا بين بني البشر، يُخبر عن ذلك النبي الكريم ﷺ فيقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى)[٢].

فالمساواة قيمة أصيلة بين الناس في أصل خلقتهم وتكوينهم، وهي عنصر داعم للحوار فيما بينهم، وعليه يجب إعادة النظر في العنصرية والتمييز الذي ابتُليت به حضارات اليوم، فقامت بالتفرقة على أساس الجنس أو اللغة أو اللون أو العرق.

ينبغي العودة إلى قيم الإسلام العالمية التي تؤسس للحوار والتبادل الثقافي والتعايش السلمي، مما يحقق الإعمار والبناء، فقبول الآخر واحترامه تحت مبادئ الكرامة الإنسانية ورعاية التنوع ومبدأ المساواة كل ذلك يحقق ويربط بين الحضارات المختلفة بجسور من التواصل... فاحترام الكرامة الإنسانية يُعد حجر الأساس في أي حوار حضاري بناء، فمع الاعتراف بقيمة كل إنسان وكرامته الأصيلة، تتحقق أرضية مشتركة للتفاهم والتعاون، إذ يتجاوز هذا الاحترام الاختلافات الثقافية والدينية والعرقية، ويؤكد على إنسانيتنا المشتركة.

ثم يأتي التعارف كوسيلة أساسية نحو بناء جسور الحوار والتفاهم بين الثقافات

---

(١) التعاون والتعارف رؤية إسلامية عالمية نحو تحقيق السلم والسلام لجميع الدول والشعوب، د/ عبد الحي عزب عبد العال، صـ٣٩، مجلة الشريعة والقانون، العدد: ٣٨، أكتوبر سنة: ٢٠٢١م.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد – وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، كتاب: حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَالِكٍ ابْنِ بُحَيْنَةَ، باب: حَدِيثُ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: ٢٣٤٨٩، وقال محققه: إسناده صحيح، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

والمجتمعات المختلفة، من خلال السعي للتعرف على الآخرين وفهم وجهات نظرهم وخلفياتهم، فيتم التغلب على الأحكام المسبقة والصور النمطية، فيثمر التعارف الانفتاح والتفاعل الإيجابي تجاه الاختلافات، مما يؤدي إلى حوار أكثر ثراءً وعمقًا.

ومع قيمة المساواة التي تعني أن جميع المشاركين في الحوار الحضاري لديهم الحق في التعبير عن آرائهم والاستماع إليهم باحترام، هذه القيمة تضمن أن الحوار يتم على قدم المساواة بين الحضارات والثقافات المختلفة، دون هيمنة حضارة على أخرى؛ مما يعزز الثقة المتبادلة، ويفتح المجال لمساهمات مبتكرة وحلول واقعية للتحديات المشتركة.

وختامًا فإنه يجب تفعيل تلك القيم الإسلامية، وجعلها مرتكزًا للمبادئ الإنسانية والقواعد القانونية الدولية، حتى تكون تلك المبادئ والقواعد – باعتبارها قيمًا ومبادئ مرجعية ثابتة – معيارًا موضوعيًا في الحوار الحضاري يحكم العلاقات الإنسانية.

المطلب الثاني: نشر ثقافة التسامح والتعايش

في بيئة عالمية مفعمة بالاختلافات والصراعات السياسية والاقتصادية، فضلًا عن العنصرية والتطرف تأتي ثقافة التسامح والتعايش لتخلق أصداء رحبة للحوار الحضاري، وتقضي على تحديات هذا الحوار السياسية والاقتصادية والدينية، إن العالم اليوم قبل أي وقت مضى يحتاج إلى تعزيز قيمة التسامح والتعايش حتى يعم التفاهم والوئام والسلام بين البشر.

هذا التسامح الذي أرساه الدين الإسلامي في كل مجالات ومظاهر الحياة بدءًا من التسامح العقدي إذ يقول الحق ﷻ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] . فلا وجه للإكراه بعد البيان بالحجة والمنطق، إذ لا معنى للإذعان في الظاهر مع بقاء المخالفة في الباطن.

إن التسامح من أهم الخصائص التي تتميز بها الحضارة الإسلامية، وهذا التسامح "لا يعزل الحضارة الإسلامية عن مجرى الحضارات الأخرى، وإنما يمثل عناصر قوة تدفع به نحو التعايش، ويحفز إلى الحوار مع الآخر، مما يجعل للحضارة الإسلامية مركز ثقل وقوة جاذبية يوجهانها نحو التفاعل مع الحضارات الأخرى، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى التلاقح الذي يُنتج ما يمكن تسميته بالتجديد الحضاري، فالحضارة الإسلامية تضيف البعد الديني لفكرة التقدم، فلا ينظر إلى التقدم لمجرد التقدم، وإنما الغاية منه هي الرقي الإنساني الذي يشبع في الإنسان غرائزه الخيرة، التي تطمح إلى السلام والانسجام مع الكائنات الأخرى، والتعاون مع الآخرين من أجل الفضيلة والخير والجمال"(١).

ومبدأ التسامح والتعاون لتحقيق الخير للمجتمع قَعَّد له النبي ﷺ في دولة المدينة عندما عقد "وثيقة المدينة" هذه الاتفاقية التي كانت بين المسلمين واليهود، وكانت تنص في بنودها على الدفاع عن المدينة، وحملت تلك الوثيقة مبادئ التسامح والتعايش بين مجتمع

(١) خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، عبد العزيز عثمان التويجري صـ١٦ بتصرف، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، سنة: ٢٠٠٢م.

المدينة مع الاختلاف الديني والثقافي، إن هذا المبدأ وتلك القيمة – قيمة التسامح والتعايش – لا غنى للمسلمين عنها في حالتي السلم والحرب على حد السواء، فـ"الحوار مع الحضارات الأخرى سيكون أولوية إسلامية في مرحلتي الضعف والقوة، فدعوة الإسلام قائمة في الدنيا مادام يوجد أحد لا يعرف الله، ولا تقف عند ذلك الحد، مادام في الدنيا عسف وظلم، بل لا يزال الحوار ممتدًا حتى إذا ساد العدل، وتساوى الناس في الحقوق والواجبات، سيبقى الدين ذكرى وبشرى لأهل الحق، كما سيبقى نذارة ووعيدًا للظالمين أنفسهم ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم: ٩٧]"[(١)].

ومن مبدأ التسامح والتعايش لابد أن ينطلق الحوار الحضاري، فالحوار بين الحضارات يكون "قائمًا على تأكيد المشترك الإيجابي بين الحضارات، وينطلق من استعداد كل حضارة لفهم الأخرى، ومن ثم الاتفاق على إعادة صياغة النقاط المختلف حولها في إطار من التسامح؛ لأن غايات الحوار وفوائده إبطال المناخات المفعمة بالكراهية والمخاوف ومشاعر العنصرية، وتوفر بيئة التسامح المناخ الملائم لتبادل الوافد النافع من العلم والخبرة والثقافة"[(٢)].

وبناء على ذلك يتحقق التعاون "باعتباره قيمة أخلاقية – وليس حنكة سياسية وحسب – وهذا يحتاج إلى أمة تتبناه، لتثبت للحضارات التي تقوم على النفع المادي أن هناك أهدافًا للتعاون، تتجاوز تلك الاستقطابات الفردانية بين الأمم والتحالفات العدائية، وهذا الإثبات هو عين الشهود الحضاري، وإذا كان المجتمع الذي تسود فيه النفعية والأثرة لا تستهويه دائمًا المثل العليا، فإنه يظل يرقب من يستطيع تحويل تلك المثل العليا لواقع؛ حتى يقطع شكه بيقين في جدوى المثل، وفي إمكانية معايشتها على أرض الواقع، مثلما يوجد تمامًا كما توجد داخل الأمم المحافظة والقائمة على القيم"[(٣)].

وفي ظلال هذا الواقع الحضاري المتردي للأمم الغربية المادية، صاحبة ثقافة النفعية

(١) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ٦٧ بتصرف.

(٢) الترجمة وحوار الحضارات والثقافات في زمن العولمة، د/ رقية بوقراص، صـ١٣ بتصرف، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، العدد الثامن، ديسمبر، سنة: ٢٠١٨م.

(٣) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ٨٤.

والأثرة المادية وشيوع الثقافة الاستهلاكية، فإن الحضارة الإسلامية لا تزال تُجسد – رغم تخلفها المادي – "أهم عوامل الإمكان، والارتكاز الحضاري، الذي يَكمُن في امتلاك الأمة المسلمة للقيم السماوية السوية، التي لم يداخلها تبديل ولا تحريف، إلى جانب امتلاكها كذلك أنموذج التجسيد والاقتداء، والعطاء لهذه القيم، الذي استوعب جميع الأحوال التي مرّت بها الأمة، من نهوض وسقوط، وتمكين واستضعاف، على مستوى الفرد، والمجتمع، والدولة والأمة،.. إنها أمة تمتلك القيم العليا، ولديها الأنموذج التطبيقي، ليكون دليلها في كل حالة تمر بها"(١).

ومن ثم يقع على عاتق الأمة الإسلامية في هذا العصر، تبني الحوار الحضاري تحت مظلة التسامح والتعايش البشري القائم على المشتركات الإنسانية، لتُخرج الحضارة الغربية بل البشرية جمعاء من مستنقع التردي نحو القيم المادية، إلى التكاتف والرقي والسمو القيمي والأخلاقي، ولا تتأتى تلك الثمرة إلا بـ"التواصل الحضاري الذي هو ثمرة حوار الثقافات وتقاربها سواء بالترجمة أو بالمثاقفة أو بالاثنين معًا، وهو مفهوم يعزز المفاهيم الحديثة للتعايش بين الشعوب على أساس وثيق من القيم المشتركة المستمدة من مبادئ الأديان السماوية والشرعية والمواثيق الدولية؛ لأن التواصل باعتباره تفاعلًا هو تبادل الوصل لا القطع بين الطرفين، بحيث يصل كل طرف إلى الطرف الذي يقابله أو يرغب في الاقتراب منه، والتعاون معه، والتواصل الحضاري ليس غاية في حد ذاته، ولكنه سعي نحو إمكانية التوافق نحو قيم مشتركة"(٢).

وتأسيسًا على ما سبق فإنه لا غنى للبشرية اليوم عن تحقيق التسامح والتعايش المشترك والتفاهم والاحترام المتبادل بين الشعوب؛ حتى يتحقق من الحوار الحضاري ما هو منشود منه من الارتقاء بالقيم والمشتركات الإنسانية، والتصدي للتحديات العالمية – البيئية والاقتصادية – التي تواجه البشرية جمعاء، وتستلزم تكاتف واتحاد كل الحضارات.

(١) الإسلام وصراع الحضارات، د/ أحمد القديدي، صـ٨ بتصرف واختصار.

(٢) التواصل الحضاري من منظور إسلامي، د/ نورة العويد، صـ٧١.

المطلب الثالث: تعزيز الحوار البناء وتصحيح المفاهيم الخاطئة

من أولويات الحوار الحضاري تعزيز الحوار البناء، فالحوار الحوار الحضاري ينطلق من الاختلاف الكائن في وجهات النظر، فلا حوار إلا مع اختلاف، ومن لا يؤمن بواقعية الاختلاف لا يسعى أبدًا إلى الحوار... بيد أن هذا الاختلاف حقيقة واقعة بين البشر، وليس المقصود من الحوار هو إزالة الاختلاف كليًا، فهذا أمر غير مدرك، وإنما غاية الحوار هو الخروج بقواعد وأسس مشتركة يتفق عليها أهل الحوار، تاركين جزء الخصوصيات الحضارية التي تتميز بها كل أمة وحضارة عن الأخرى، علاوة على ذلك فإن "الحوار قد لا يكون – وأحيانا لا ينبغي أن يكون – القصد منه تغيير قناعات أشخاص، أو تغيير بنيتهم الفكرية، وإنما يتم الحوار من أجل التعارف، فالتعارف أبسط وأغلى ما يؤدي إليه الحوار إذا التزم بأسسه المهنية"(١).

وينتج عن هذا التحاور والتعارف "على الرغم من تمايز الغايات والمقاصد والمثل، أن التجارب الإنسانية في النظم، والوسائل، والمؤسسات قد تكون صالحة للاقتباس في أحيان كثيرة – مع التمثل، والتطويع، والاستلهام– فالعناصر الخارجية ضرورة حتمية، لا تستغني عنها أية حضارة مهما ارتفعت وسَمَت، وهذه العناصر الخارجية إنما تأتي بطريق الاقتباس الإرادي المباشر المقصود، والنقل والاقتباس عملة متداولة بين الشعوب قاطبة؛ فكل حضارة نقلت وأبدعت أعطت وأخذت، ولم توجد قط حضارة أبدعت ولم تنقل؛ فالنقل ليس وباء وإنما هو غذاء، والاستعارة ليست عاراً وإنما هي فخار، والاستعارات الثقافية والتأثيرات الحضارية في الأفكار والنظريات المتبادلة بين الحضارات ظاهرة صحية"(٢).

هذه الظاهرة الصحية التي تتمثل في النقل والاستعارة ثم الإبداع، إنما هي الهدف الأول من الحوار الحضاري، فـ"التفاعل الحضاري ضرورة إنسانية لا بد منها لقيام

(١) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ١٤:١٦ بتصرف واختصار.

(٢) الحوار الحضاري ضرورة إنسانية، أحمد عبد الرحيم السايح، ٢١٦:٢١٧ بتصرف واختصار، دارة الملك عبد العزيز، المجلد: ٢٠، العدد: ٤، سنة: ١٩٩٥م.

الحضارات، وتقدم الإنسان في كل ما من شأنه أن يأخذ بيد الإنسان، ويشيع في المجتمعات الإنسانية الأمن والسلام، أما الانغلاق الحضاري فهو قاتل للإنسان، كذلك التبعية الحضارية هي الأخرى قاتلة لكل إبداع، فلابد من حوار الحضارات(١).

وينطلق الحوار الحضاري المهني وينبني على قاعدتين هما:

"**أولا: قاعدة الورود المشترك:** التي تقتضي أن يكون جميع أطراف الحوار قد وقفوا على إشكال معين، وكل منهم يسعى للمخرج منه، فهذا الإشكال مورد الطرفين، فينبغي أن يتركز على هذا الورود المشترك أدلة الإثبات والنفي، ثم يتحرى كل طرف عرض الإشكال بأنسب العبارات التي تكون مفهومة للمخالف، فإذا كانت العبارة حمالة أوجه أو غامضة أو كانت مظنة سوء الفهم، كذلك إذا عرضت المقترحات والحلول فوق مقدور الطرفين، كان هذا مظنة سوء نية.

ثانيًا: قاعدة الصدور المختلف: فإذا كان الحوار بين طرفين ينتميان لحضارتين مختلفتين، فإن الاختلاف لا يتعلق فقط بالمشكل أي: موضوع الحوار، وإنما الخلاف في الخلفية المتحكمة في كل من المتحاورين، فينبغي ألا يتوقع المحاور – دائمًا – أن يصير رأي المخالف إلى رأيه، مهما كانت قوة الحجج، فإن القناعة الآنية التي اكتسبها المحاور، لابد لها أن تتكيف مع مجموع المبادئ والقيم التي يؤمن بها، وهذا يعني أن الاستجابة لمقتضيات الحوار تحتاج إلى وقت، كي يتم تبنيها بشكل طبيعي لا يجعل المقتنع في حال صدام مع خلفيته الفكرية.

وقد يكون – أحيانًا – الغرض من الحوار تغيير البنية الفكرية للطرف الآخر، فينبغي أن يوضع في الحسبان مقدار صلابة تلك البنية، ومدى تعلق صاحبها بها، بعين الاعتبار، وإلا كان الحوار نوعًا من العنف والإكراه"(٢).

أما عن دور الحوار الحضاري في تصحيح المفاهيم الخاطئة عند الطرف الآخر، فهذا مما يجب أن يكون على أولويات أجندة المحاورين من المسلمين، إذ تشيع الكثير

(١) الحوار الحضاري ضرورة إنسانية، أحمد عبد الرحيم السايح، ٢٣٤.

(٢) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/عبد الحليم زويبر، صـ١٤:١٦ بتصرف واختصار.

من المفاهيم المغلوطة عن الحضارة الإسلامية والدين الإسلامي، ويلزم من ذلك عرض حقائق الإسلام من خلال تاريخ الحضارة الإسلامي مشفوعا بأدلة ونماذج حضارية في القديم والحديث وما أكثرها، ثم الجانب الآخر المقابل من تصحيح المفاهيم هو رد تلك القضايا والمسائل، التي يُرمى بها الإسلام والحضارة الإسلامية إلى الواقعية الإنسانية في كل المجتمعات والحضارات، فلم تَخلُ حضارة من النماذج الشاذة التي تطرفت إلى العنف والتعصب دون أن ينسب ذلك إلى منهج حضارة بعينها.

إنَّ الحوار الحضاري يعد أداة فعالة في تصحيح المفاهيم الخاطئة، والصور النمطية بين الثقافات المختلفة. ويمكن توضيح أهميته من خلال النقاط التالية:

أولاً: يُمكّن الحوار الحضاري العلماء والمفكرين من تقديم الصورة الحقيقية للإسلام، فمن خلال التواصل المباشر والحوار البناء يتم تصحيح الخلفيات الثقافية المغلوطة، من خلال تفكيك الأفكار المسبقة والافتراضات غير الدقيقة التي قد تكون راسخة في أذهان الناس.

ثانيًا: يوفر الحوار الحضاري منصة عالمية لتبادل المعلومات الدقيقة والموثوقة، خاصة في عصر المعلومات الخاطئة والأخبار المضللة، ومن هنا يصبح الحوار المباشر بين ممثلي الثقافات والحضارات المختلفة وسيلة مهمة لتصحيح المعلومات الخاطئة وتقديم صورة أكثر دقة عن الواقع الثقافي والاجتماعي لكل مجتمع.

ثالثًا: يعمل الحوار الحضاري على تنمية التفكير التحليلي والنقدي لدى المشاركين، فمن خلال عرض وجهات النظر المختلفة، وطرح العديد من الافتراضات الخاصة، يتم تقييم المعلومات بشكل نقدي، ومن ثم التشكيك في الصور النمطية التي قد يحملها الطرف الآخر.

وفي الختام، يعد الحوار الحضاري أداة قوية وفعالة في مواجهة التحديات الناجمة عن سوء الفهم، والصور النمطية بين الحضارات، من خلال تبادل المعلومات الدقيقة وتعزيز التفاهم المتبادل، وتنمية التفكير النقدي، وتعزيز احترام التنوع والثراء الثقافي والحضاري، برجاء أن يُسهم ذلك كله في تطوير نظرة أكثر شمولية مما يساعد في مكافحة التعصب والتمييز.

المطلب الرابع: الاهتمام بتعلم اللغات والترجمة

تُعد الترجمة حركة أخذ وعطاء وتفاعل بين الثقافات والحضارات، فالترجمة لها أهمية كبرى في التواصل الحضاري، ولها أثر فعال في تصحيح صورة الآخر، وتعزيز التفاهم والتعاون حول المشتركات الإنسانية، ومن هنا يجب ألا تكون الترجمة ذات اهتمامات فردية، وإنما لابد أن تأتي في سياقات مؤسسية تهتم بترجمة التراث الثقافي والحالة المعاصرة، فالترجمة "هي الجسر الممتد بين القارئ والكاتب، إذ تجعله وجهًا لوجه أمام النص الأصلي، أي الثقافات على اختلافها وتنوعها، حيث تُمكّن الإنسان من خوض غمار المثاقفة والتعايش مع الثقافات الأخرى؛ لذلك أصبحت الترجمة من أهم الوسائل المستخدمة قديمًا وحديثًا في خلق التلاقح والتمازج الحضاري بين الشعوب والأمم، من خلال منطق الأخذ والعطاء، الإبداع والاقتباس، الإنتاج والاستيعاب... لكل المظاهر المعرفية والفكرية والثقافية التي تعكس تصورات مختلفة ونظرات للعالم متعددة عند الناطقين بها أو الممارسين لها"(١).

ومن الجدير بالذكر أن الترجمة ليست نقلًا لثقافات الأمم الأخرى فحسب، وإنما يتم من خلالها عمليات تفاعلية تبادلية بين النص المُتَرجَم والثقافة المُتَرجم إليها، فالترجمة "تهب النص الأصلي وجهًا جديدًا وحياة جديدة في محيط ثقافي جديد؛ ليصبح النقل اللغوي انتقالاً وتحولاً وتلاقحاً وتناسلاً للمفاهيم والأفكار في أفضية متجددة وعوالم متكاثرة، ولهذا فالمترجم لا يسدي خدمة لأمته ولغته فحسب، وإنما كذلك للغة التي نقل منها النص الأصلي وأهلها"(٢).

لقد قامت الترجمة في القديم بالحفاظ على التراث الثقافي والحضاري للحضارات المندثرة، إذ أفرزت معطياتها في الحضارات الجديدة الناشئة، كذلك أفادت منها الحضارات المُتَرجَم إليها في إنتاج الزخم الهائل من العلوم والفنون المختلفة، وهذا عندما كانت الترجمة تتم وفق منهجية متكاملة ترعاها مؤسسات الدولة، تعمل من خلالها على

(١) الترجمة ورهانات العولمة، أ/ كروش حيزية، صـ٨٣ بتصرف، مجلة معالم، المجلد ٩ العدد١، سنة: ٢٠١٨م.
(٢) الترجمة وحوار الحضارات والثقافات في زمن العولمة، د/ رقية بوقراص، صـ١٣.

رفع الوعي الثقافي والعلمي والحضاري للأمة، فالذي يجدر الإشارة والتنبيه إليه "أن قدرة الترجمة على تحقيق التفاعل الحضاري والثقافي المنشود إنما يتوقف على نوعيتها وكميتها وانتقائيتها وغائيتها، وعلى رغبة الأمة في الانفتاح على الآخر والإفادة منه، وإرادة قياداته في التطوير والتغيير، وهذا الأمر يجعل الترجمة من أهم بنود السياسة اللغوية للأمة وإستراتيجياتها التنموية والثقافية"(١).

فالترجمة التي تقوم على منهجية علمية ثاقبة ترتقي بالمجتمعات والشعوب فكريًا وعلميًا، وتكون رائدة للتطور والتنمية والإنتاج، بخلاف الترجمات الفردية التي يكون الهدف منها النشر والتسويق رغبة في الربح المادي المتقاسم بين المترجم ودار النشر، فالترجمة تقود للانفتاح الحضاري لا لتبديد الأوقات وانهاك القدرات في خيالات وأوهام تحط الطاقات الإيجابية للأمة، والترجمة تقود إلى الانفتاح على مختلف التجارب الحضارية، والتبادل الحر لمنجزات العلوم والتكنولوجيا والفنون...

وفي هذا العصر ينبغي الإفادة من تقنيات الذكاء الاصطناعي، – مع عدم الركون والاعتماد الكلي عليها – إذ تؤدي الترجمة الفورية دورًا محوريًا في تذليل عقبات اللغة، مما يسهل التواصل بين أصحاب اللغات المختلفة، ويعمق فهمهم لبعضهم البعض، ومن خلالها يمكن استكشاف التراث الثقافي والحضاري لمختلف المجتمعات عن كثب، بل إن هذه التقنيات تُمكّن من زيارة المواقع التاريخية والمتاحف افتراضيًا، مما يعزز الوعي الثقافي ويُحفز الحوار حول القيم المشتركة.

كما أن المنصات التعليمية الإلكترونية توفر فرصًا غير مسبوقة للتعلم عن الثقافات والحضارات الأخرى، مما يسهم في بناء جسور المعرفة والتفاهم..

ولقد قطعت بعض البلاد العربية مرحلة متقدمة في تعلم اللغات والترجمة، من ذلك مشروعات المركز القومي للترجمة بجمهورية مصر العربية، وما يقدمه من إصدارات معرفية فريدة، كذلك "تمثل جائزة الملك "عبد الله بن عبد العزيز" العالمية للترجمة أحد أوجه اهتمام المملكة العربية السعودية، بموضوع التعايش والتقارب والتحاور والتعارف

(١) الترجمة وحوار الحضارات والثقافات في زمن العولمة، د/ رقية بوقراص، صـ١٨ بتصرف.

بين الحضارات؛ حيث تفتح الجائزة الباب الرحب أمام الأعمال المتميزة في مجالات العلوم الإنسانية والطبيعية للمنافسة، ولا يخفى ما للأعمال المترجمة في المجالات المختلفة من دور رائد في زيادة التواصل الثقافي بين أبناء الحضارات المختلفة"(١).

ومما يجدر التنبيه إليه في أمر تعلم اللغات والترجمة: أنَّ تعلم اللغات والترجمة قد يكون سببًا من أسباب الاختراق الثقافي للخصوصيات الحضارية، فـ"الترجمة لا تحقق التفاعل الثقافي بطريقة متساوية وتلقائية، وإنما قد ينتج عنها تغلغل ثقافي في اتجاه واحد، لأن الثقافة المنتِجة تكون أبعد أثراً في الثقافة المستهلكة، وفي واقعنا المعاصر ثقافتنا العربية هي ثقافة مستهلكة، ولا أثر يُذكر للترجمة من العربية إلى اللغات الأوربية في الفكر الغربي المعاصر"(٢).

فلابد مع الترجمة من النقل الواعي، خاصة في مجالات الثقافة والفكر، ولابد أن تأتي الترجمات بصور تصحيحية لما يترجم وفقًا لما يتماشى مع خصوصية الثقافة العربية الإسلامية، فدور المترجم في هذه العملية يتجاوز مجرد النقل اللغوي، ليصبح وسيطًا ثقافيًا يحمل مسؤولية الحفاظ على روح النص الأصلي، مع مراعاة خصوصيات الثقافة المستهدفة، فليست الترجمة مجرد نقل من لغة إلى لغة بل يلابسها تحديات وإشكاليات الاختراق الثقافي، التي قد تؤدي إلى تأثيرات عميقة على الهوية الثقافية للمجتمعات، خاصة عندما تكون هناك فجوة كبيرة بين الثقافة المصدرة والثقافة المستهدفة، فالترجمة المكثفة لأعمال من ثقافة معينة قد تؤدي إلى إدخال مفاهيم وقيم قد تتعارض مع القيم الأصيلة للمجتمع، وأبرز مثال على ذلك الاختراق الثقافي للعولمة الذي غزا البلاد العربية والإسلامية لا من خلال الكتابات المترجمة، بل من خلال الأفلام والمسلسلات الأجنبية التي تُبث ليلًا ونهارًا على الفضائيات العربية.

فالترجمة سلاحٌ ذو حدين، الأول منهما: أنها عامل إثراء فكري وحضاري، تؤدي

(١) دور الجامعات العربية والإسلامية في تعزيز الحوار بين الحضارات، د/ جمال مصطفى محمد مصطفى، صـ٢٠ بتصرف، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة: ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

(٢) الترجمة وحوار الحضارات والثقافات في زمن العولمة، د/ رقية بوقراص، صـ١٨.

دورًا مهمًا في الاطلاع على النتاج الفكري والأدبي والعلمي لثقافات أخرى، مما يسهم في توسيع آفاق المعرفة وتعزيز التبادل الثقافي على المستوى العالمي، تعزيز التفاهم بين الثقافات، وفهم وجهات نظر الآخرين وطرق تفكيرهم، مما يسهم في بناء جسور الحوار والتواصل الحضاري.

الثاني: أنَّ الترجمة تُعد أداة فعالة في عملية الاختراق الثقافي في ظل العولمة المتزايدة، إذ يمكن أن تؤدي إلى تغييرات جوهرية في البنى الفكرية والثقافية للمجتمعات، مما قد يثير تساؤلات حول الحفاظ على الخصوصية الثقافية في مواجهة تيارات العولمة الثقافية.

هذه الخطورة التي ينبغي التعامل معها بمنهج الممانعة الفكرية التي جاءت في قول النبي ﷺ: (أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ)[1].

ولهذا الحديث سياق ثقافي لما جاء عمر بن الخطاب ﷺ إلى النبي ﷺ وهو يقرأ صحيفة من التوراة، فجاء الرد من النبي ﷺ بقوله: "أَمُتَهَوِّكُونَ". و"التهوك كالتهور، وهو الوقوع في الأمر بغير روية، والمتهوك: الذي يقع في كل أمر. وقيل: هو التحيُّر"[2].

والمقصود هنا هو الاستفهام الإنكاري، والدلالات الثقافية التي يُمكن استنباطها من هذا الحديث، هي:

١ – حماية العقيدة الإسلامية من التأثر بالأفكار الدخيلة.

٢ – التحذير من الاغترار والانبهار بثقافات الآخرين على حساب الهوية الإسلامية.

---

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند عبد الله بن عمر بن العاص ﷺ، باب: حَدِيثُ أَبِي رِمْثَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حديث رقم: ١٥١٥٦، جـ٢٣، صـ٣٤٩. وقال محققه: إسناده ضعيف.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، جـ٥، صـ٢٨٢، المكتبة العلمية – بيروت، سنة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣ – منهج الإسلام في التعامل مع الثقافات الأخرى: فالإسلام لا يرفض المعارف الأخرى كليًا، لكنه يدعو إلى التعامل معها بحذر وتمحيص.

فهذا النص النبوي الكريم يعكس جانبًا مهمًا من الثقافة الإسلامية في التعامل مع المعارف الأجنبية، إذ يؤكد على ضرورة الحفاظ على الهوية الإسلامية مع عدم الانغلاق التام عن الثقافات الأخرى، ومن هنا تأتي أهمية الموازنة بين الانفتاح الثقافي والحفاظ على الخصوصيات الثقافية في عصر الترجمة الرقمية والتدفق المعلوماتي العالمي.

المطلب الخامس: التركيز على القواسم المشتركة بين الحضارات

يتعلق الحوار الحضاري بمواضع الاختلاف والنزاع من أجل الخروج بحلول لها، بل إن الأرضية والمساحة الأكبر التي ينبغي أن يشملها الحوار الحضاري، وتُمثل أهم موضوعاته مواضع الاتفاق والمشاركة؛ إذ لا تزال العديد من القواسم المشتركة بين الأمم والحضارات تواجه تحديات، والبشرية اليوم قبل أي وقت مضى في أمس الحاجة لتفعيل تلك القواسم المشتركة، وحمايتها والمحافظة عليها في ظل التسارع الواسع الانتشار لثقافة العولمة، وإرادة الهيمنة الحضارية من قبل البعض.

"ومع أن القواسم المشتركة لها جذورٌ ثابتة في ثقافات الأمم والحضارات، إلا أنه قد يُختلف في مفهومها، أو يُساء توظيفها فتنقلب إلى ضدها، يذكر "هنتينغجون"[(١)] أن أركان الحضارة المشتركة التي تربط بين الجماعات هي: الدين واللغة والتاريخ والعادات، وكل هذه تجتمع في الدول العربية، ثم إن الدين الذي هو أقوى الأركان يربط الدول الإسلامية بالدول العربية برباط قوي، وبخاصة أن الإسلام أَوجدَ قيمًا وتشريعات مشتركة وأخلاقًا لكل المسلمين، وهذه العلاقات بين المسلمين بعضهم البعض هي أقوى من السياسة والأيديولوجيات[(٢)].

حقا إن هذه الأصول المشتركة من أهم الروابط التي تربط بين الدول والشعوب، ولكن لا يزال هناك العديد من القواسم المشتركة بين دول وحضارات وشعوب العالم في

---

(١) صامويل هنتنغتون (ولد في ١٩٢٧ في نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية – وتوفي في ٢٠٠٨م) عالم سياسي أمريكي، ومستشارًا للعديد من وكالات الحكومة الأمريكية، ومعلقًا سياسيًا مهمًا في المناقشات الوطنية حول السياسة الخارجية الأمريكية في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين. ينظر: الحضارة والسياسة: مطالعة في نظرية صمويل هنتنغتون، زكي الميلاد، صـ١١:٩، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، سنة: ٢٨، العدد: ١١٢، سنة: ٢٠٢١م. وصموئيل ب. هنتنغتون، منشور على موقع الموسوعة البريطانية، الرابط//

https://www.britannica.com/biography/Samuel-P-Huntington

(٢) يُراجع: صدام الحضارات، صاموئيل هنتيغتون، صـ٣٠٦ وما بعدها، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث، بيروت – لبنان.

مجالات السياسة والاقتصاد وقضايا القيم، وفي ظل التعقل من بعض المفكرين الغربيين، ودعوتهم الصريحة للغرب للتعرف على الحضارات المختلفة؛ ينبغي استثمار ذلك في نشر وإعادة الحوار حول القضايا المشتركة، يقول هارالد موللر(١): "ينبغي أن نزيد من معرفتنا بثقافات أخرى، فالمعرفة حول الإسلام، أو الهندوسية، أو البوذية تساوي صفراً من ناحية عملية، وهذا عيب فادح؛ فقد اجتاز الغرب الحوار مع الشيوعية بنجاح، لأن كل شخص تقريباً كان يمتلك فهماً أساسياً لهذا الآخر.

إن ما ينجح في الحوار الضدي لهو هام أيضاً في الحوار البناء: فالآخر الذي يعرف المرء عنه شيئاً يصبح أقل غرابة، والحوار يصبح أكثر سهولة، وقد تم هنا تحريك بعض الأمور في خطط التربية والتعليم، كما أن الكنائس كذلك يمكنها إنجاز الكثير حينما تعطي الأديان العالمية الأخرى أيضاً فرصة للحديث"(٢).

فمنطلق الحوار الحضاري مع الآخر في القواسم المشتركة هو: معرفة ما لدى الآخر والاطلاع على حضارته وثقافته، ومن ثم يأتي التقارب والتعاون في حماية وتحقيق تلك القواسم، ومجالات الحوار والتشارك كثيرة متعددة...

ففي مجالات الاقتصاد لا تزال التجارة والتصنيع المشترك تَفتح آفاقًا واسعة للحوار والتعاون، فـ"النزعة الاقتصادية ستدعم الوعي الحضاري، كما أن للثقافة المشتركة أثر فعال في نمو هذه النزعة، وهذا على غرار ما حدث بين الصين الشعبية وتايوان وسنغافورة وهونكونغ، إذ أخذت الجماعات في تلك الدول تتجاوز خلافاتها الإيدلوجية

(١) هو: هارالد موللر ، ولد عام ١٩٤٨ – درس علم السياسة والأدب في جامعة فرانكفورت ومنها حصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية، عمل أستاذاً زائراً للعلاقات الدولية في جامعة جون هوبكنز في بولونيا بإيطاليا، يشغل منصب أستاذ العلاقات الدولية في جامعة فرانكفورت منذ عام ١٩٩٤م، يعمل مديراً لمؤسسة هيسن لأبحاث السلم والنزاعات في فرانكفورت، أصدر عدداً كبيراً من المؤلفات وأشرف على تحرير ونشر عدد كبير آخر من الكتب والبحوث في مجال العلاقات الدولية وشؤون انتشار أسلحة الدمار الشامل ونزع التسلح، باللغتين الألمانية والإنجليزية. موقع التبراة، الرابط// https://altibrah.ae/author/٢٩٣٣ .

(٢) تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون، هارالد موللر، ترجمة: د/ إبراهيم أبو هشهش، صـ٣٢٠، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت – لبنا، سنة: ٢٠٠٥م.

لتتعاون في المجالات الاقتصادية؛ وهذا بفضل رصيد ثقافتها المشتركة"[١].

وفي مجالات الحقوق المشتركة والقيم الإنسانية كحق الحياة، وقيمة الحرية وغيرها.. فرص ونطاقات أوسع للحوار الحضاري؛ من أجل حمايتها وتفعيلها، فعلى سبيل المثال حق الحياة الذي يُعد في واقعنا المعاصر أحد الشعارات الرائجة، فحق الحياة من أهم القيم الإنسانية العالمية المشتركة بين جميع الثقافات والحضارات، فاحترام حياة الإنسان وكرامته هو مبدأ أساسي في معظم الفلسفات والأديان حول العالم، ويمكن استخدام هذا المبدأ كنقطة انطلاق للحوار حول قضايا مثل حقوق الإنسان والسلام العالمي، مما يساعد على بناء جسور التفاهم بين الثقافات المختلفة.

ولكن حق الحياة "يتعثر ويُعتدى عليه حين يسيطر الجهل، فتصبح حياة الإنسان مجرد مقابل بخس، لنزعة قومية، أو غطرسة مسلحة.

إن حق الإنسان في الحياة يتم تجاوزه قسرًا، ولم يتم الاتفاق بشأنه، وهذا يفرض على دعاة الحوار الحضاري أن يستحضروه باعتباره ضرورة واقعية مشتركة، ومن ثم نتجنب الإغراق في التنظير الفلسفي لهذا الحق، بربط التنظير بنماذج ماثلة للعيان للدلالة على ما يتهدد حياة الإنسان، وعليه يلزم أطراف الحوار اتخاذ قرارات مشتركة تليق بالضرورة المشتركة"[٢].

وفي واقعنا المعاصر هذا الحق "حق الحياة" تُهدده الصناعة غير الإنسانية للأسلحة الفتاكة، ويهدده ثانيًا: عقائد القتل والتدمير..

أما عن الصناعات غير الإنسانية من القنابل الذرية والنووية، التي تدمر مدنًا بأكملها "فقد فتكت تلك الصناعة بأرواح البشر على مستويين: الأول: مستوى القتل المباشر، بقتله في حروب دون أن يعرف أسبابها، ولا أهدافها، والثاني: مستوى القتل البطيء، بتسميم المياه والغذاء والأجواء وكل مصادر الحياة، وإذا كان دعاة الصراع

(١) الإسلام والغرب والديموقراطية، جودت سعيد وعبد الواحد علواني، صـ٢٩ بتصرف، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط١، سنة: ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

(٢) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ٣٦ بتصرف.

والصدام يؤمنون بأن تزايد الحاجات وتكاثر الناس يلزم منه هذه الصناعة الغذائية الموبوءة، فإن دعاة الحوار الحضاري ينبغي أن لا يألوا جهدًا لإنهاء شهوات وعقائد القتل والانتقام، وأن يعملوا على توفير الجهد والثروة التي تضيع هباءً في تصنيع تلك الأسلحة، وإدارة تلك الحروب"(١).

وعلى الصعيد الآخر نجد تلك الحروب المهددة لحق الإنسان في الحياة، وبخاصة في الوطن العربي والإسلامي وما أحداث الاعتداء السافر على غزة ولبنان عنّا ببعيد، "إن الأحداث الدامية التي تشهدها المنطقة الإسلامية، والتي لاقت صمتًا غربيًا مخزيًا، إنما تُجسد وتعبر عن تلك العقائد التدميرية المهددة لحق الإنسان في الحياة، والسؤال المطروح: ما الداعي إلى قيام تلك الحروب المدمرة في المناطق العربية والإسلامية برعاية ومؤازرة غربية، بينما يتبادل العرب والمسلمون علاقات جيدة مع إخوانهم من كل الحضارات، الحق أن هناك من توجههم عقائد القتل؛ إما لبسط السيطرة، وإما لتحقيق نبوءة، ولا يتورع كل فريق لاستعمال سلوك الطرف الآخر لتبرير سلوكه، إنهم يتعاونون على تطبيق نظرياتهم بطريقة غير مباشرة، على حساب أمن وسلامة وحياة الأغلبية(٢).

ومن المشتركات والقيم الإنسانية التي يُساء فهمها وتطبيقها حق الحرية فحرية التعبير والاختلاف، إن لم تكن مقيدة بحقائق قيمية وأخلاقية فإنما تكون فوضى وتعدٍ على حقوق الآخرين، ومن هنا فإن "القيد الذي يدخل على حرية التعبير أو حق الاختلاف ذو طبيعة أخلاقية صريحة، بحيث يكون الإنسان مطالباً بأن يراعي القيم الأخلاقية في ممارسته لهما؛ ومعلوم أن هذه القيم هي التي تتحدد بها إنسانية الإنسان، إذ يكون حظه منها على قدر عمله بهذه القيم؛ فإذا اختار أن يترك العمل بها، فلا شك أنه ينسلخ عن إنسانيته.

ومن القيود الأخلاقية على قيمة الحرية، أن حرية التعبير التي لا توفي بمقتضى التهذيب تصبح حرية مسيَّبة، كما أن حق الاختلاف غير المهذب يصبح عبارة عن حق

---

(١) المرجع السابق، صـ٣٩ بتصرف.

(٢) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ٤١ بتصرف.

مسيب، فيكون التسيُّب في الحق والحرية هو الخروج عن مقتضى الأخلاق، وبالتالي خروج عن شرط الإنسانية والنزول إلى شرط البهيمية.

كذلك فإن الإطلاق الذي ينسبه البعض إلى حق الاختلاف وحرية التعبير ليس معناه تخلصاً من كل القيود، وإنما المراد به على وجه التعيين التخلص من القيود الأخلاقية، أو ما أسميناه بـ "التسيب" وحينئذ لا نعجب حين تتعدد الأقلام التي تعبر عن الإساءة إلى نبينا وديننا باسم "حرية التعبير"، حيث تعتبر أن من يمارس هذه الحرية لا يجب عليه الاكتراث بما يؤول إليه تصرفه من آثار أخلاقية في الآخرين، مع الأخذ في الاعتبار أن الأخلاق اقترنت في عقول الغربيين منذ عصر التنوير بنظام الوعظ، ولا أبغض إلى قلب أبناء التنوير من أن ينصحهم ناصح أو يعظهم واعظ"[1].

وتأسيسًا على ما سبق فإنه يُمكن القول بأنَّ القيم الإنسانية المشتركة مثل: حق الحياة وحرية التعبير نقطة انطلاق مهمة للحوار بين الحضارات والثقافات المختلفة، فهذه القيم تشكل أرضية مشتركة يمكن البناء عليها لتجسير الهوة بين وجهات النظر المتباينة. فعندما نبدأ من هذه النقاط المشتركة، نخلق أساساً للتفاهم المتبادل والاحترام بين أطراف الحوار.

ورغم وجود قواسم مشتركة، إلا أنه قد تختلف الثقافات في تفسيرها وتطبيقها لهذه القيم، فعلى سبيل المثال، قد يكون هناك اختلاف في فهم حدود حرية التعبير، أو في تطبيق مفهوم حق الحياة؛ لذا، من المهم في الحوار الحضاري مناقشة هذه الاختلافات بانفتاح واحترام وتبادل الأفكار والآراء بحرية، مما يثري النقاش ويساهم في الوصول إلى فهم مشترك، وكيفية الموازنة بين هذه الحرية مع احترام معتقدات وثقافات الآخرين، وحماية حق الإنسان في الحياة دون أي مهددات غير مسببة، ولا دخل له فيها.

(١) يُراجع: الحوار أفقا للفكر – طه عبد الرحمن، صـ ١٧٥ بتصرف.

المبحث الثالث

آفاق مستقبلية للنهوض بالحوار الحضاري

المطلب الأول: التعاون في القضايا العالمية (الأمن الغذائي، حماية البيئة، السلام)

تعد المشكلات العالمية الكبرى كالأمن الغذائي وحماية البيئة والسلام من أهم المحاور التي يجب أن يشملها الحوار الحضاري، وهي غايات باتت مُلِحَّة في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى؛ وبالرغم من التقدم الاقتصادي والعلمي والتقني في عالم اليوم، إلا أن هذه المشكلات لا زالت تُمثّل عقبة كؤود في طريق التنمية المستدامة، وتحقيق الاستقرار المنشود.

أولا: قضية الأمن الغذائي

باتت قضية الأمن الغذائي مشكلة تؤرق العديد من المجتمعات النامية، إذ تهدد أكثر من ثلثي سكان الأرض؛ "حيث لا يزال الجوع طاغيًا على البشرية في هذا العصر، الذي لم نعرف مثله كثرةً في الإنتاج وقدرة على توفير الرخاء... فالدراسات التي قامت بها منظمة الزراعة ومنظمة الأمم المتحدة للتغذية وغيرها من المصادر الموثوق بها، تدل على أن بين الثلثين أو النصف من سكان الأرض (أي بين المليارين أو المليار والنصف من البشر) لا يزال يفتك بهم الجوع أو يغلب عليهم سوء التغذية"[(١)].

وعلى الرغم من محاولات منظمة الأمم المتحدة في القضاء على مشكلة الجوع، إلا أن الأمر خاصة في السنوات الأخيرة في تزايد ملحوظ، حيث أفاد تقرير للأمم المتحدة أن العالم يبتعد أكثر فأكثر عن تحقيق هدف القضاء على الجوع، وانعدام الأمن الغذائي، وسوء التغذية بجميع أشكاله بحلول عام ٢٠٣٠، بأن عدد الأشخاص الذين يعانون الجوع في العالم قد ارتفع إلى حوالي ٨٢٨ مليون شخص في عام ٢٠٢١م، أي بزيادة قدرها نحو ٤٦ مليون شخص منذ عام ٢٠٢٠م، و١٥٠ مليون شخص منذ تفشي

(١) في معركة الحضارة – دراسة في ماهية الحضارة وأحوالها وفي الواقع الحضاري، قسطنطين زريق، صـ٣٧٠ بتصرف واختصار، دار العلم للملاين، ط٤، سنة: ١٩٨١م، وبالتأكيد الأعداد تتزايد مع ازدياد أعداد البشر.

جائحة كوفيد-١٩[١].

ومما يؤسف له أن يكون هذا الواقع المتردي في الكثير من دول العالم، بينما نجد في الجانب المقابل دولًا تصرف مليارات سنوية لتخزن الفائض الغذائي، وتعطي معونات مشروطة بمطالب سياسية واقتصادية فعلى سبيل المثال "تنفق دولة زاخرة الإنتاج كالولايات المتحدة الأميركية مليون دولار يومياً لتخزين الفائض عن احتياجاتها من الغذاء، ومع أن الولايات المتحدة تقدم سنويًا، بطريق البيع بشروط خاصة أو الإعانة ما يوازي المليار والنصف من الدولارات من المواد الغذائية، فتدعم بذلك وسائل التغذية في العديد من بلدان العالم، إلا أن هذا وغيره مما توفره الدول الغنية بالإنتاج للدول الفقيرة يظل دون المستوى المطلوب، لإزالة تلك المعاناة التي تُلطخ جبين الحضارة الحديثة"[٢].

إن مشكلة الأمن الغذائي لا تنفك عن قضية السلام والأمن، في ظل هذا الزخم الهائل من الثروات والوفرة الغذائية عند البلاد الغنية، فمشاهد "الأطفال الذين يموتون أما الكاميرات، والمرضى بالأمراض الوبائية كالكوليرا وغيرها، بسبب سوء التغذية كل ذلك يفرض على كل الحضارات أن تدع الخلافات جانبًا، وتتكاتف لإنقاذ الجنس الإنساني، من دركات الحرمان والفقر، والأمراض، وإذا كان التاريخ يحفظ لكل حضارة إنجازاتها الإنسانية، فإنَّ التاريخ كذلك لن يغفل عن إخفاقاتها في حفظ الكرامة الإنسانية، وسيسجل أن أغنياء الشمال أسرفوا وترفوا في لذَّات الجسد، على حساب الأمن الغذائي لفقراء الجنوب"[٣].

لقد أصبحت قضية الأمن الغذائي من الضرورات المُلحة للحوار الحضاري، ووجب عقد مؤتمرات عالمية للسعي الجاد للخروج برؤى واقعية تعمل المنظمات الدولية على تنفيذها، وهذا الاجتماع والتعاون ليس بعيد المنال فـ"الأوضاع الاقتصادية التي خلفتها

(١) موقع منظمة الأغذية والزراعة – الأمم المتحدة، الرابط//
https://www.fao.org/newsroom/detail/un-report-global-hunger-SOFI-٢٠٢٢-FAO/ar

(٢) في معركة الحضارة – دراسة في ماهية الحضارة، قسطنطين زريق، صـ٣٧٠ بتصرف.

(٣) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ٤٢.

الثورة الصناعية، قد أوجدت في كثير من المجالات قيمًا إيجابية، تدعو العالم إلى صفة الوحدة الأرضية، وما القانون البحري ومحكمة العدل في لاهاي وغير ذلك من المساعي الدولية، إلا مظاهر لذلك الاتجاه العام، الذي يمهد الطريق لتوحيد العالم، وهناك مؤتمرات مختلفة للاتحادات النقابية العالمية، وللتنظيم العلمي والفني، كاتحاد البريد العالمي، وهي أكبر شاهد على حاجة الشعوب إلى تنظيم حياتها على أساس من العمل المشترك والتعاون"(١).

ثانيًا: حماية البيئة أولوية من أولويات الحوار الحضاري

في ظل التقدم الصناعي وتفاقم مشكلة الملوثات الصناعية، التي باتت تهدد مناخ الكرة الأرضية، وزيادة الانبعاثات التي تعمل على ارتفاع درجة حرارة كوكب الأرض، ومشكلة ذوبان الجبال الثلجية، فضلًا عن حرائق الغابات وتلويث مياه البحار بالمواد المُشعّة، التي تؤثر على حياة الكائنات البحرية، ومن ثم صحة الإنسان؛ كل هذه قضايا مُلحة للحوار الحضاري بين الشعوب والحضارات الغنية منها والفقيرة على حد سواء.

إذ يُمكن "لمشكلة البيئة أن تظهر في السياسة الدولية، فيما نستطيع أن نطلق عليه نموذج الشمال – الجنوب فامتناع دول الشمال عن إنجاز الإسهام الخاص بها في حماية البيئة، يقابله التصميم الذي لا يقبل التراجع في الدول النامية في عدم الحد بتاتاً من الأنشطة الاقتصادية الضارة بالبيئة، وذلك بدعوى "التطور الاقتصادي الثابت"، ويحمّل كل من الطرفين الطرف الآخر مسؤولية العواقب المأساوية التي يمكن التنبؤ بها مسبقاً. وقد تطور الأمر إلى حد تشكيل سياسة استقطاب، ويمارس كلا الطرفين مبدأ الحماية الاقتصادية بذريعة السياسة البيئية"(٢).

فلا بد من تكاتف وتعاون كل القوى، ووضع مواثيق واتفاقيات دولية تنظم تلك

---

(١) مشكلات الحضارة – وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، تقديم عمار طالبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، صـ٢٠١ بتصرف.

(٢) تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون، هارالد موللر، ترجمة: د/ إبراهيم أبو هشهش، صـ٢٩٠ بتصرف شديد.

السياسات الاقتصادية بما يحقق النمو الاقتصادي للدول النامية، ولا يضر بالبيئة، وهذا الجانب تتحمل منه الدول الغنية كلفة لازمة، في بث ونشر اقتصاديات التصنيع النظيف، والمساعدة على ترقية صناعات الدول النامية. فـ"سفينة الكوكب الأرضي بسقفها وأرضيتها.. والطبيعة التي تستغل اليوم في علوها وسفلها، في باطن الأرض وظاهرها، والثروات الغنية التي أودعها الله في الكون لتكون مصدر حياة الإنسان، وبقائه، أصبحت مهددة بالنزاع المبني على الأنانية والأثرة، والرغبة في التسلط والسيطرة، فمن أهم أوجه الاختلال في حياة العالم اليوم أن الحوار حول الضرورات المشتركة بين الناس لا يأخذ القدر الكافي من الأهمية الذي يأخذه مثلا التنقيب على الثروات، والسيطرة على مصادرها، فيلزم من أجل الحفاظ على نظام العالم من التفكك والانحلال أن يكون الحوار والتعاون حول هذه القضايا البيئية، فالحوار ضرورة للمحافظة على الطبيعة، وتدبير الاستفادة منها؛ ليستفيد سكان الأرض من الثروات المدخرة من أجلهم جميعًا دون حرمان أحد"[١].

وختامًا فإنه يمكن القول بأن مسألة حماية البيئة لها فاتورة اقتصادية تتحمل الدول الغنية الجانب الأكبر منها، ويجب عليها الوفاء به، إذ جُل المشاكل البيئية إنما نتجت عن سياسات التصنيع والإنتاج غير الواعية التي أضرت بالبيئة، ومن جانب آخر لا يزال "سلوك الدول الصناعية لا يدعو إلى التفاؤل، فاقتراحات الاتحاد الأوروبي الحذرة للتقليل من انبعاث الغازات الدفيئة؛ حتى يتمكن من الإثبات أنه الرائد الثوري للسياسة البيئية، تُظهر الوضع الجدير بالرثاء للسياسة البيئية الدولية. أما القوة العالمية العظمى، أي الولايات المتحدة الأمريكية، فتتصرف في قضية المناخ كأنها دولة متخلفة، ودفاعها المتشدد عن أسلوب الحياة الأمريكي – بهذه الحجة صوّت الجمهوريون المتشددون ضد اتفاقية كيوتو (Kioto) [٢] – لا يقل تهديدًا للأمن العالمي عن أسلحة العراق البيولوجية،

(١) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ٥٦ بتصرف.

(٢) اتفاقية أو بروتوكول كيوتو، هو بروتوكول ملحق باتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ ١٩٩٨م.

أو أسلحة ليبيا الكيماوية، أو الأسلحة الذرية في كوريا الشمالية"[١].

إنَّ كل دول العالم مدعوة اليوم وبشكل ملح للحوار الحضاري حول المشكلات البيئية؛ للخروج باتفاقيات وسياسات يجب على جميع الدول احترامها وتنفيذها.

ثالثًا السلام العالمي والحوار الحضاري

في ظل الصراعات السياسية المتعددة شرقًا وغربًا كـ(الحرب الروسية الأوكرانية – الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة – والخلافات الحدودية بين أرمينيا وأذربيجان..)، فضلًا عن الصراعات الداخلية والحروب الأهلية التي توجهها بعض القوى لمصالحها الاقتصادية، كل ذلك يدعو دول العالم إلى حوار حضاري من أجل السلام العالمي – في الجانب السلبي والإيجابي منه على حد سواء، فـ"أول الواجبات هو العمل للحفاظ على السلام العالمي، هذا العمل ضروري من الوجهتين الإيجابية والسلبية. أما من الوجهة السلبية فلأن أدوات التدمير والقتل قد بلغت من شدة الأثر وقوة الفعل ما يجعلها قادرة على محو معالم الحضارة الإنسانية، وإفناء معظم سكان الأرض بوقت قصير وجهد يسير، هذا ما أصبح معلوماً وذائعاً لدى الخاصة والعامة، فإذا ذكرنا أن بضع قنابل ذرية هيدروجينية لها من قوة التخريب والتفجير ما لمجموع القنابل التي ألقيت في الحرب العالمية الثانية بكاملها، وأن الدول الصانعة لها تختزن منها عدداً متزايداً، وإذا ذكرنا الصواريخ المعدة لتطلق عبر الأجواء أو من أعماق البحار، وتخيلنا بعد هذا ما لدى الدول الكبرى من أسرار مخفية ومن أسلحة مجهولة، وما تصنعه باستمرار في سبيل تطوير أسلحتها وتقوية فعلها التدميري – إذا ذكرنا هذا كله وتخيلناه تبين لنا بوضوح أن بقاء الحضارة، بل بقاء البشرية، معرض في كل آن لخطر الزوال"[٢].

ومن هنا وجب العمل من أجل إحلال السلام العالمي في الحد من تصنيع وتخزين تلك الأسلحة، ووضع اتفاقيات دولية للتخلي عن أسلحة الدمار الشامل وتفعيل هذه الاتفاقيات على أرض الواقع، كذلك توجيه هذا القدر والكم الهائل من الاستثمار في

(١) تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون، هارالد موللر، ترجمة: د/ إبراهيم أبو هشهش، صـ٢٩٠ بتصرف.

(٢) في معركة الحضارة – دراسة في ماهية الحضارة وأحوالها، قسطنطين زريق، صـ٣٧٨:٣٧٩.

التسليح وما يُطلق عليه الاستعدادات الحربية الدفاعية، لصالح التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتقليل الفوارق بين الشعوب..

ومن الناحية الإيجابية بالعمل على إنهاء تلك الصراعات الخارجية، والخلافات الداخلية قبل تفاقمها بشتى السبل والوسائل السلمية، من خلال التسوية الودية للنزاعات أو اللجوء إلى التحكيم الدولي، أو فرض العقوبات الاقتصادية على الدول المعتدية بعد تبين ذلك من خلال القضاء الدولي، ومحكمة العدل الدولية.

المطلب الثاني: تعزيز دور مؤتمرات ومنتديات الحوار بين الأديان والثقافات.

قضية اختلاف الأديان والثقافات من القضايا التي لا ينبغي أن يدور الحوار في أصالة وجودها بين الأفراد والأمم والجماعات، فقد اقتضت إرادة الله ﷻ هذا الاختلاف يقول المولى ﷻ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩]، وواقع الناس في التاريخ القديم والحديث يشهد بذلك التنوع، وفي إطار هذا التنوع تأتي ضرورة التعاون والتفاهم حول القضايا الحضارية والمشتركات الإنسانية، التي تسعى الأديان والأمم والثقافات المتعددة لتحقيقها؛ إذ تتأصل القيم الحضارية (التسامح، والعدل، والرحمة...) في الرسالات الإلهية، ومن هنا يأتي دور مؤتمرات ومنتديات حوار الأديان في تعميق وتفعيل تلك القيم الحضارية.

فطبيعة الحوار بين الأديان تعني: "أن يتبادل المتحاورون من أهل الأديان، الحقائق والأفكار والخبرات والمعلومات، التي تزيد من معرفة كل فريق بالآخر بالطرق الموضوعية، ثم تبين ما قد يكون بينهما من اتفاق وتلاق أو اختلاف، مع احتفاظ كل فريق بمعتقداته، في جو من المعاملة بالتي هي أحسن والاحترام المتبادل، بعيداً عن مقاصد التجريح ونوازع التشكيك، فالمرتجى من هذا الحوار هو إشاعة المودة والتفاهم والوئام وروح المسالمة، والتعاون فيما يقع التوافق فيه من أعمال النفع العام للبشرية"(١).

فالحرص على نفع الناس وتأصيل العفو والتسامح والتراحم والتكافل بينهم، من مبادئ الأديان الأصيلة، يقول الحق ﷻ في إطار دعوة الناس والتحاور معهم: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣] وفي حالة الاختلاف مع أهل الكتاب والحوار معهم يقول ﷻ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وفيما يتعلق بأخلاق الأناجيل نجد إنها ممعنة كل الإمعان في مثاليتها وحريصة كل الحرص على أن تقوم العلاقات بين الناس على أسس التسامح، والعفو، ودفع السيئة بالحسنة، حتى إنها لتكاد تجعل ذلك واجبًا من الواجبات، ويمكن القول إن جوهر

(١) الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات، يوسف الحسن، صـ١٣ بتصرف.

المسيحية هو الأخلاق الروحية[١].

هذا الجوهر الأخلاقي المتأصل في كل الأديان، ينبغي تعزيزه وتفعيله من خلال تعزيز مؤتمراته ومنتديات الحوار بين الأديان والثقافات، وإن كانت العديد من الأحداث التاريخية بين أصحاب أهل الأديان لم تسر على هذه الوتيرة من التنوع والاختلاف المفضي إلى التعاون والتعارف؛ وإذا كانت الحروب المتعددة باسم الأديان، كما في الحروب الصليبية التي شنت باسم الصليب والمسيح تجاه المسلمين وحضارتهم، إلا أنه وبعد دعوة رجال الكنيسة لمبدأ الحوار، فإنه يجب قبول تلك الدعوة للحوار والسلام انطلاقًا من قول الحق ﷻ: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنفال: ٦١].

وفي إطار هذا السياق يأتي "حث المجمع الفاتيكاني على ضرورة تجاوز خصومات الماضي؛ من أجل التطلع للمستقبل والتحاور مع المسلمين، حيث أعلن أنه إذا كانت انشقاقات وعداوات كثيرة قد ظهرت بين المسلمين والنصرانيين على مر العصور، فإن المجتمع الفاتيكاني يحضُّهم جميعًا على نسيان الماضي، وعلى بذل الجهد الصادق من أجل التفاهم المتبادل، وكذلك تشجيع وحماية العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية والحرية والسلام معًا ولكل البشر"[٢].

ومع تلك الدعوة إلى الحوار المتبادل، يجب أن يتم التأكيد على احترام الخصوصيات الحضارية لكل أمة، إذ "يلزم إذا أن يقوم الحوار حول التكاتف والتعاضد الدولي على احترام الخصوصية الحضارية لكل أمة، وضمان حرية التعبير عن هذه الخصوصية، دون أن تقاس بمقياس حضارة أخرى، وإلا يكون ذلك من الاعتداء الذي ينبغي أن تنتهي عنده كل الحريات، فإذا كانت القطبية[٣] بشكليها قد صبغت العالم

(١) يراجع: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي، صـ٧٢، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. الأخلاق في الأديان الثلاثة، السيد أبو ضيف مدني، صـ٣٢، دار الشروق، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) حوار الحضارات – المحددات والضوابط، د/ فهد بن عبد العزيز عبد الله السنيدي، صـ٧٣ بتصرف.

(٣) القطبية "polarity": مصطلح يشير إلى عدد القوى العظمى في النظام الدولي، بمعنى تلك التي تتمتع بالقوة الاقتصادية، والعسكرية، والنفوذ العالمي، ويقدر خبراء الإستراتيجية أن القطبية تقدم وصفًا لتوزيع القوة في النظام

بصبغة معينة؛ حتى إن كثيرًا من شعوب الأرض تجشموا عناء التخلص من هوياتهم الحضارية من أجل كسب الاعتراف بوجودهم في عالم تقوده القطبية، فإن تحالفًا قائمًا على مراعاة التعدد الثقافي والحضاري من شأنه أن يصبغ العالم بألوان متعددة، ويفتح روافد متعددة من التعبيرات والثقافات الإنسانية الغنية، وهذا شرط ضروري لاحترام مبدأ الاختيار الحر"[1].

ومن ثم يجب التأكيد على مبادئ عامة للحوار بين الأديان والحضارات، والتي يمكن أن تتمثل فيما يلي[2]:

– احترام المساواة والكرامة الإنسانية بين جميع البشر وعدم التمييز بين البشر أيا كان نوع هذا التمييز، وكذلك بين الدول سواء كانت كبيرة أو صغيرة.

– القبول الفعلي والعملي بالتنوع الثقافي باعتباره أحد الملامح المؤسسة للمجتمع الإنساني، ومصدرًا عاليًا لتقدم البشرية وازدهارها.

– التسامح والاحترام المتبادل في مجال القيم الخاصة ووجهات النظر بمختلف الحضارات والثقافات، وحقوق الأفراد المنتمين إلى جميع الحضارات في الحفاظ على قيمهم وتراثهم الثقافي ورفض تدنيس القيم الدينية والأخلاقية والثقافية وانتهاك المقدسات والحرمات.

الدولي، وكيف يتغير بمرور الوقت، وتعد هذه التغيرات المفتاح لفهم سبب تنافس الدول، أو تعاونها مع بعضها البعض. تميزت الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بظهور القطبية الثنائية في العالم، القطب الأول: يتمثل بأمريكا وأوروبا والدول المتحالفة معها، والقطب الثاني: الاشتراكي الذي كان يقوده الإتحاد السوفيتي، ومثل انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه عام ١٩٩١م ظهور القطبية الأحادية وتفرد أمريكا بقيادة العالم. القطبية الثنائية أم المتعددة وتداعياتها الدولية والإقليمية، مجلة شؤون عربية، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، العدد: ١٩٦، سنة: ٢٠٢٣م.

تحالف مجموعة من الدول الحضارات – المحددات والضوابط، د/ فهد بن عبد العزيز عبد الله السنيدي، صـ٧٣ بتصرف.

(١) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ٩٠.

(٢) يُراجع: إعلان طهران بشأن الحوار بين الحضارات الصادر عن الندوة الإسلامية للحوار بين الحضارات التي عقدت في طهران في الفترة من ٣ إلى ٥ أيار / مايو ١٩٩٩م، صـ٤.

– الاعتراف بتنوع مصادر المعرفة في كل مكان وزمان، وضرورة الاعتماد على مجالات الثراء والقوة والحكمة لكل حضارة في إطار عملية أساسها الإثراء المتبادل.

– رفض محاولات الهيمنة الثقافية والسيطرة الحضارية، والتصدي للممارسات والمذاهب الرَّامية لخلق الصدام والصراع بين الحضارات.

– السعي لإيجاد أرضية مشتركة بين مختلف الحضارات، وداخلها حتى يمكن مواجهة التحديات العالمية المشتركة.

– القبول بالتعاون والسعي نحو التفاهم، كآلية مناسبة لتعزيز القيم العالمية المشتركة، ووضع حد للتهديدات العالمية.

– الالتزام بمشاركة جميع الأمم والشعوب دون أي تمييز في عمليات توزيع المنافع وصنع القرار على المستوى المحلي والعالمي.

– التمسك بمبادئ الإنصاف والعدالة والتضامن والسلام، وكذلك بالمبادئ الأساسية للقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة.

المطلب الثالث: استثمار الفضاء الرقمي لتعزيز التواصل بين الثقافات

لقد شكلت التكنولوجيا الحديثة واقعًا معاشًا في الحضارة الإنسانية المعاصرة، لا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال، وبالرغم من السلبيات المتعددة التي تزخر بها هذه الوسائل، إلا أنَّ لها العديد من المزايا الثقافية والدعوية، وفي النهاية هذه التكنولوجيا إنما تأخذ حكم الوسائل؛ ومن هنا ينبغي استغلال تلك الوسائل في الحوار الحضاري والدعوة إلى التعايش المشترك

فالفضاء الرقمي والإعلام الرقمي بات يُشكل أهمية وتحديًا كبيرًا في نفس الوقت وقد اعترفت المؤسسات الدولية بهذه الأهمية الكبيرة والخطورة لدور الاتصال والإعلام في العلاقات الإنسانية والدولية، وأبرز شاهد على ذلك الدراسة التي خرجت من منظمة "اليونيسكو" بإشراف "شون ماكبرايد" Shone Mcbride [١]، تحت عنوان "أصوات متعددة وعامل واحد"، والتي تم التركيز فيها على هذه الأخطار المحتملة الناجمة عن وسائل الإعلام والاتصال، كذا الدور الثقافي لها[٢].

تلك الخطورة الإعلامية التي تُهدد حوار الحضارات، تتجسد في العولمة الثقافية التي تنميها وسائل الإعلام المختلفة، وهذا ""نعوتشومسكي" Noam Chomsky [٣] المفكر الثائر على

---

(١) هو: شون ماكبرايد (ولد في ١٩٠٤ في باريس ، فرنسا – توفي ١٩٨٨ أيرلندا) كان رجل دولة أيرلندي حصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٤ لجهوده في مجال حقوق الإنسان، وشغل منصب الأمين العام لمنظمة العفو الدولية. وفي عام ١٩٧٣ أصبح مساعدًا للأمين العام للأمم المتحدة ومفوضًا لجنوب غرب إفريقيا/ناميبيا. شون ماكبرايد، على موقع الموسوعة البريطانية، الرابط// https://www.britannica.com/biography/Sean-MacBride وموقع جائزة نوبل، الرابط// https://www.nobelprize.org/prizes/peace/١٩٧٤/macbride/facts/

(٢) يراجع: شون ماكبرايد وآخرين، "أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغدا"، تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال التابعة لمنظمة اليونيسكو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م.

(٣) هو: فرام نعوم تشومسكي (Avram Noam Chomsky) (مولود في ٧ ديسمبر ١٩٢٨ فيلادلفيا، بنسلفانيا) هو أستاذ لسانيات وفيلسوف أمريكي وناقد وناشط سياسي. وهو أستاذ لسانيات فخري في قسم اللسانيات والفلسفة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. إضافة إلى عمله في مجال اللسانيات فقد كتب

سياسات الولايات المتحدة الأمريكية والهيمنة الغربية، يرى أن العولمة الإعلامية: "تلك الزيادة الضخمة في الإعلان خاصة عن السلع الأجنبية، والتركيز في ملكية وسائل الإعلام الدولية، وبالتالي انخفاض التنوع والمعلومات مقابل الزيادة في التوجه للمعلن، وهذا حرفيًا يحمل معنى التوسع في التعدي على القوميات الثقافية من خلال شركات شاملة عملاقة، ومستبدة يحركها الاهتمام بالربح المادي، وتشكيل الجمهور وفق أنماط خاصة؛ حيث يدمن الناس أسلوب حياة قائم على حاجات مفتعلة مصطنعة، مع تجزئة ذلك الجمهور وفصل كل فرد عن الآخر، حيث لا يُشغل الجمهور بالساحة السياسية، وبالتالي لا يهدد أو يزعج نظام القوى أو السيطرة في المجتمع"(١).

لقد أصبح الإنسان في وقتنا الحالي مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بوسائل الإعلام والاتصال، حتى وصل الأمر إلى حد الإدمان، فهي وسيلة ضرورية أصبحت تلازم حياة الأفراد وشكلت جزءًا من حياتهم اليومية، خاصة مع الإمكانيات والخصائص والتطورات المستمرة لهذه الوسائل من أجهزة كمبيوتر وهواتف نقالة وساعات ذكية وغيرها.

وبالتالي يمكن الاعتماد عليها بشكل كبير في نشر العلم والثقافة في عصرنا الحاضر، "وبخاصة مع انتشار وسائل الاتصال الحديث، التي أصبحت أداة لنقل المعارف والعلوم بين الأمم، فهذه الثورة الهائلة في مجال الاتصالات أسهمت في نقل الثقافة والعلم بين الشعوب، وهذا يحتم على المسلمين وهم يدخلون في حوار حضاري مع الأمم الأخرى أن يستغلوا هذه الإمكانات العصرية لنقل ثقافتهم وإيصالها إلى الآخرين، وألا يكون همهم تقديم صورة مشرقة عن الإسلام على حساب الانهزامية"(٢).

تشومسكي عن الحروب والسياسة ووسائل الإعلام. وقد وُصف تشومسكي بالشخصية الثقافية البارزة، حيث صُوت له كـ "أبرز مثقفي العالم" في استطلاع للرأي عام ٢٠٠٥. ويوصف تشومسكي أيضاً بأنه "أب علم اللسانيات الحديث. موقع أبجد، الرابط//

https://www.abjjad.com/author/٢١٣٣٢٩٥١٠٤/%D٩%٨٦%D٨%B٩%D٩%٨٨%D٩%٨٥-%D٨%AA%D٨%B٤%D٩%٨٨%D٩%٨٥%D٨%B٣%D٩%٨٣%D٩%٨A

(١) العولمة الإعلامية، مؤيد عبد الجبار الحديثي، صـ٥٣ بتصرف، عمان الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

(٢) حوار الحضارات بين الفكرة والتطبيق، د/ بلبول نصيرة، صـ٣٦٧. وحوار الحضارات – المحددات والضوابط،

إنَّ ظاهرة البث المباشر عبر الأقمار الصناعية والفضاء الرقمي يُمكن أن يُسهم في تعزيز ثقافة الحوار والتفاعل الحضاري، فعلى الجانب الإيجابي، يمكن تلخيص بعض آثاره فيما يلي:

– "تطور وسائل الاتصال المحلية، خاصة القنوات التلفزيونية، حيث تفرض عليها المنافسة مع القنوات العالمية وأهمية تحديث أساليبها باستمرار.

– تجديد الثقافة القومية بعناصر مساعدة في بعض الأحيان، بتطعيمها بنماذج وتطلعات عصرية – الحتمية التكنولوجية – تتعلق بالإبداع، والإيقاع السريع، والأداء الرفيع، مع تشجيع التبادل الحضاري ونشر التسامح والتعايش الثقافي بين الشعوب والأمم.

– اختفاء فكرة السيطرة والسيادة الإعلامية التي كانت تتمسك بها الدول الغربية، الأمر الذي يثير قلق النظم العنصرية والحكومات الاستبدادية، وانتشار الخوف المَرضي من التكنولوجيا؛ لأنه يتضمن مزيدًا من الدعوة إلى الانطلاق والتحرير، كما سوف يزود الجمهور بالمزيد من المعلومات التي تساعدهم على حرية الاختيار"[(١)].

فيمكن الاستفادة من الإعلام ووسائل التكنولوجيا الحديثة في تعزيز الحوار الحضاري من خلال عدة طرق منها:

أولاً: توفِّر منصات ومواقع التواصل الاجتماعي، فرصًا فريدة للتواصل المباشر بين الأفراد من مختلف الثقافات، مما يسمح بتبادل الخبرات والأفكار بشكل سريع وواسع النطاق.

ثانيًا، يمكن استغلال التطبيقات الذكية على الهواتف المحمولة، والمنصات التعليمية الإلكترونية في نشر الوعي المعرفي حول التنوع الثقافي والحضاري، إذ يمكن نشر هذا الوعي المعرفي من خلال العديد من الوسائل والأساليب الصوتية والنصية والملصقات الحية، وتقديم محتوى تعليمي تفاعلي، يسهم في فهم وتقدير الثقافات المختلفة، مما

د/ فهد بن عبد العزيز عبد الله السنيدي، صـ١٨٣.

(١) الهوية الثقافية وصراع الحضارات في ظل الثورة التكنولوجية، د/ محمد قارش، صـ١٤٥ بتصرف واختصار، مجلة الإحياء، العدد السادس عشر، سنة: ٢٠١٣م.

يساهم في بناء جسور التفاهم بين الشعوب.

ثالثًا: يمكن إثراء الحوار الحضاري وتوسيع قاعدته من خلال المشاركة في الفعاليات الثقافية عن بعد، مما يعزز التفاهم المتبادل ويثري الحوار الحضاري، فالإعلام ووسائل التكنولوجيا الحديثة تفتح آفاقاً واسعة لتعزيز الحوار الحضاري في عصرنا الرقمي، فمن خلال شبكات التواصل الاجتماعي والمنصات الإلكترونية، يمكن خلق فضاءات افتراضية للتبادل الثقافي، حيث يلتقي أفراد من شتى أنحاء العالم لتبادل الآراء والخبرات، متجاوزين الحواجز الجغرافية والزمنية.

رابعًا: البث المباشر ومنصات مشاركة الفيديو تسمح بنقل الفعاليات الثقافية والحوارات الفكرية إلى جمهور عالمي، مما يوسع نطاق المشاركة في الحوار الحضاري، فمن خلال هذه الوسائط، يمكن تنظيم ندوات وورش عمل افتراضية تجمع مفكرين وباحثين من مختلف الخلفيات الثقافية؛ لمناقشة القضايا المعاصرة وتبادل وجهات النظر.

المطلب الرابع: تفعيل دور الشباب في الحوار الحضاري

يُعد الشباب بما يحمل من قوة – فكرية وعقلية – وما يحدث من نشاط – ذهني وحركي، عنصرًا حيويًا وفعالًا يُمكن توظيفه في تعزيز الحوار الحضاري بين الثقافات والمجتمعات المختلفة، إذ يمكن تفعيل دورهم واستثمار طاقاتهم في هذا المجال من خلال عدة محاور رئيسة:

أولا: استثمار المقررات الدراسية في الجامعة:

إذ تُسهم المناهج الدراسية في تشكيل الوعي الثقافي والحضاري، ومن خلال إدراج مفاهيم الحوار الحضاري وإبراز الثقافات الأخرى بما تحويه من تنوع وثراء، فإن ذلك يعزز التواصل والحوار الحضاري ويعمل على إدراك مراميه، "فالمناهج التعليمية: تسهم في اكتشاف التنوع الثقافي، والوعي بما له من قيم إيجابية، كما تسهم كذلك في الوعي الناقد اللازم لمجابهة جميع أشكال التفرقة العنصرية، كما تزيد من معرفة الطلاب بتراثهم الثقافي من خلال تدريس التاريخ، والجغرافيا، والأدب، واللغات، والفنون، وكذلك زيادة وعيهم بحقوق وواجبات الجماعات والأفراد والقوميات المختلفة تجاه بعضهم البعض"[(١)].

إن التعليم يعد حجر الأساس في تكوين وعي الشباب وتشكيل رؤيتهم للعالم، لذا فإن تضمين مفاهيم الحوار الحضاري في المناهج الدراسية أمر بالغ الأهمية، ومن ثم يجب التركيز في هذه المناهج على تعزيز فهم الثقافات المختلفة، وتنمية مهارات التفكير النقدي، وتشجيع التعاطف مع وجهات النظر المتنوعة، وفي هذا السياق كذلك يمكن إقامة وتنظيم ورش عمل، ودورات تدريبية لتنمية مهارات الحوار والتواصل الحضاري لدى الشباب.

ثانيًا: السياحة الحضارية، ودورها في الحوار الحضاري:

فالغالب على فئة الشباب حب الاستطلاع والاكتشاف، والتنقل والرحلات، ومن ثم

(١) دور الجامعات العربية والإسلامية في تعزيز الحوار بين الحضارات، د/ جمال مصطفى محمد مصطفى، صـ٦٣:٦٤.

يمكن استغلال تلك الرحلات السياحية في اكتشاف التراث الثقافي والتعريف بالحضارات الأخرى، فقد "تطورت وسائل التعريف بالحضارات، وكثر التنافس على استقطاب السياحة بشتى وسائل الإغراء، عبر مراكز الاتصال، التي تنتدب العاملين لتكون مهمتهم التواصل مع الراغبين في السياحة من شتى أنحاء العالم، غير أن هذه المسألة – للأسف الشديد – لا يتولاها إلا الأفراد لصالح أعمالهم التجارية، وتعاني في أحيان كثيرة من التدليس التجاري، وغياب الخبرة، والثقافة الحضارية أصلًا من جهة المستقبلين، ومن ثم تضيع فرصة التواصل الحضاري هنا لغلبة هاجس المتعة المادية لدى السائح المستهدف، ولو أسس دعاة الحوار بين الحضارات مثل هذه المراكز، وجعلوا مهمتهم التعريف بالجوانب الحضارية لكل أمة، وتسهيل السياحة عبر العالم لهذا الغرض، لكنا إزاء وضع أفضل مما نحن فيه الآن"[1].

وفي هذا السياق ومع كثرة الوافدين إلى العالم العربي والإسلامي، لشتى الأغراض السياحية (الأثرية والترفيهية....)، يمكن إقامة ندوات ودورات توعوية مكثفة للمرشدين السياحيين – تُشرف عليها الحكومات – فيما يخص التعريف بالثقافة والحضارة الإسلامية؛ حتى تكون نقطة انطلاق لهؤلاء المرشدين في تعاملهم مع السائحين في التعريف بروائع الحضارة الإسلامية كذلك يمكن نشر وتوزيع كتيبات توعوية لهؤلاء السائحين.

ثالثًا: الإعلام والتواصل الاجتماعي كأدوات فعالة للحوار الحضاري

ففي عصر الثورة الرقمية بات الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، من أهم الأدوات التي يمكن للشباب استخدامها لتعزيز الحوار الحضاري، ومن ثم يجب تدريب الشباب على الاستخدام الأمثل لهذه المنصات الإعلامية لنشر رسائل إيجابية عن ثقافتهم وحضارتهم، وهذا يتطلب تطوير مهارات الإعلام الرقمي لدى الشباب، بما في ذلك القدرة على تحليل ونقد المحتوى الإعلامي الموجه، وإنتاج محتوى رقمي يعزز قيم التسامح والتفاهم المتبادل.

(١) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ٧٢ بتصرف.

كما يمكن تشجيع الشباب على إنشاء مدونات ومواقع إلكترونية، وقنوات على منصات التواصل الاجتماعي تركز على موضوعات الحوار الحضاري، ويشرف عليها علماء وأساتذة متخصصون؛ فتكون هذه المنصات بمثابة جسور افتراضية تربط بين الشباب من مختلف أنحاء العالم، وتوفر مساحة للنقاش والتبادل الثقافي، بالإضافة إلى ذلك، يمكن استخدام هذه المنصات لتنظيم عدة حملات توعية عالمية تهدف إلى مكافحة التمييز والتطرف والتعصب.

ومن هنا يكون التعارف بشقيه التعرف على الآخر وتعريفه بنا، الذي يُعد "ضرورة كونية وشرعية، تقوم عليها مصالح الدين والعمران، فيطلب منا أن نقوم بمهمة التعارف بشقيها بكل السبل والوسائل ونلح عليها، إلى أن يوجد من يهمه التعارف ويؤمن به، على فرض غيابه، وهو فرض لا يؤيده الواقع"(١)، ومن خلال التركيز على ما يجمعنا بدلاً مما يفرقنا، يمكننا تعزيز الحوار البناء وتقليل التوترات بين الحضارات المختلفة.

وأخيرًا، فإن تفعيل دور الشباب في الحوار الحضاري هو مسؤولية مشتركة تقع على عاتق المؤسسات التعليمية، والحكومات، والشباب أنفسهم؛ من خلال توفير الفرص المناسبة والدعم اللازم، ومن شأن هذه الجهود أن تسهم في بناء جيل واعٍ ومنفتح، قادر على المساهمة الفعالة في تعزيز التفاهم والتعاون بين الحضارات في عالم متعدد الثقافات، وهؤلاء الشباب يُمكن أن يصبحوا غدًا قادة فاعلين في بناء جسور التفاهم والتعاون بين الحضارات، مما يسهم في خلق عالم أكثر سلامًا وتسامحًا.

(١) حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، صـ٧٤ بتصرف. هل سابق.

المطلب الخامس: برامج التبادل الثقافي والأكاديمي

ومن الآفاق المستقبلية للنهوض بالحوار الحضاري، تعزيز برامج التبادل الثقافي والأكاديمي بين الجامعات المختلفة، وهذا التبادل الأكاديمي كان السبب الرئيس في نقل الحضارة الإسلامية إلى الغرب عندما تتلمذ الغربيون في الجامعات الإسلامية في الشرق وفي الأندلس، فقد كان التبادل الثقافي منذ القدم بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى دون المساس بالثوابت الدينية.

وفي السياق التاريخي نجد أن الحضارة الإسلامية منذ بعثة النبي ﷺ قامت بالإفادة من المنجزات الحضارية السابقة مثل حفر الخندق، الذي أشار به الصحابي الجليل سلمان الفارسي ﷺ، وكانت من منجزات الحضارة الفارسية، كذا تدوين الدواوين في عهد عمر بن الخطاب ﷺ إلى غير ذلك ممن المقتبسات الحضارية التي استوعبتها الحضارة الإسلامية.

والعالم الإسلامي اليوم يجب عليه تفعيل هذا التبادل، خاصة في المجالات العلمية والتطبيقية؛ لتضييق الفجوة التكنولوجية والتطبيقية الهائلة الموجودة بين الواقع الإسلامي المعاصر والحضارة الغربية، وهذا من صميم الحوار الحضاري، ومبدأ من مبادئ الثقافة الإسلامية التي تنطلق في الحوار الحضاري "من مبدأ الإقرار بالتنوع الثقافي والتعدد الفكري واللغوي، وعدم المفاضلة بين الناس في الجنس أو اللون أو القبيلة أو الأصل أو الفصيلة.

وهذا المعطى الحضاري ليس نتيجة ضعف أو ضغط؛ بل هو سمة دائمة ورائدة في هذه الثقافة الإسلامية، التي لا تستعلي على الآخر، ولا تستضعف أحدًا فتفرض عليه بقوة السلاح ثقافتها، بل إن الثقافة الإسلامية تعترف بتداول الحضارات وبسنة التدافع الحضاري، وأن التطور متاح للجميع، وليس حكراً لأحد دون أحد"(١).

وفي إطار الواقع المعاصر الذي يعيشه العالم الإسلامي اليوم، فإنه "لا يمكنه أن يعيش في عزلة، بينما يتجه العالم في سعيه إلى التوحد، وليس المراد أن يقطع العالم

(١) ينظر: حوار الحضارات – المحددات والضوابط، د/ فهد بن عبد العزيز عبد الله السنيدي، صـ٤٠ بتصرف.

الإسلامي علاقاته بحضارة تمثل لا شك إحدى التجارب الإنسانية الكبرى، بل المهم أن ينظم علاقته معها"[(١)]، بما يحقق التقدم والنهوض الحضاري.

ومن صور التبادل الثقافي والأكاديمي:

التوسع في برامج التبادل العلمي بين الجامعات:

إذ يمكن تعزيز دور الجامعات في حوار الثقافات والحضارات من خلال التوسع في قبول الطلاب الأجانب، وكذلك برامج التبادل الطلابي، وبرامج تبادل أعضاء هيئات التدريس والباحثين، والتي تدعم التعايش الفعلي بين أعضاء هيئات التدريس والطلاب ذوي الخلفيات الثقافية والحضارية المتباينة، وليس المقصود أن يقتصر إرسال الطلاب إلى بلد آخر لتعلم الجوانب العلمية فقط، بل لابد أن يتعدى ذلك إلى التعرف على الجوانب الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، بل والسياسية في بعض الأحيان، للبلد الذى يدرسون به، ولعل ذلك يُعد من أهم الوسائط التي يمكن أن تحقق ما يسمى بالمواطنة العالمية Citizenship Global، والتواصل بين الثقافات والحضارات.

ومن ثم يمكن أن تستخدم عملية إرسال الطلاب للدراسة بالخارج، كوسيلة للتعاون بين الأمم والشعوب في مختلف المجالات[(٢)].

إن برامج التبادل الطلابي الدولية تلعب دورًا محوريًا في الحوار الحضاري؛ حيث توفر للشباب فرصة فريدة للتفاعل المباشر مع أقرانهم من خلفيات ثقافية مختلفة، أيضًا يُمكن الإفادة من الطلاب المبتعثين إلى العالم الإسلامي في اطلاعهم على روائع الثقافة والحضارة الإسلامية، إذ يساعد هذا في بناء جسور التواصل وتعزيز التعاون بين الثقافات، كما يُسهم في كسر الحواجز الثقافية وتبديد الصور النمطية، والاطلاع على مجالات رحبة في التنوع والإثراء الثقافي، مع اكتشاف القواسم المشتركة والقيم الإنسانية التي تجمعهم، مما يسهم في تقليل حدة الصراعات وتعزيز التعاون في مواجهة التحديات العالمية المشتركة.

---

(١) مشكلات الحضارة – وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، تقديم عمار طالبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، صـ١٦٧.

(٢) يُنظر: دور الجامعات العربية والإسلامية في تعزيز الحوار بين الحضارات، د/ جمال مصطفى محمد مصطفى، صـ٦٤.

الخـاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فبعد انتهاء هذه الدراسة عن تحديات الحوار الحضاري ودور الدعوة الإسلامية في مواجهتها، يمكن استخلاص عدد من النتائج والتوصيات، بيانها كالتالي:

النتائج:

أولًا: تبين من خلال البحث أن الحوار الحضاري يواجه مجموعة متنوعة من التحديات، تتراوح بين الصور النمطية والأحكام المسبقة، واختلاف القيم والمفاهيم، والصراعات السياسية والاقتصادية، وضعف اللغة المشتركة، وصولاً إلى التطرف والتعصب، وهذه التحديات متشابكة ومترابطة، مما يجعل معالجتها أمرًا يتطلب تكاتف المؤسسات التعليمية والإعلامية والثقافية في مختلف الحضارات.

ثانيًا: أظهرت الدراسة الدور الحيوي الذي يمكن أن تقوم به الدعوة الإسلامية في مواجهة تحديات الحوار الحضاري، وذلك من خلال التأكيد على قيم الإسلام في احترام الآخر، ونشر ثقافة التسامح والتعايش، وتعزيز الحوار البنّاء وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وهذا الدور يعكس الجوهر الحقيقي للإسلام كدين يدعو إلى السلام والتفاهم بين البشر.

ثالثًا: كشف البحث عن التأثير المزدوج للعولمة على الحوار الحضاري، ففي الجانب الإيجابي أتاحت العولمة فرصًا غير مسبوقة للتواصل والتفاعل بين الثقافات، وعلى الجانب المقابل أدت إلى تفاقم بعض التوترات الثقافية وطغيان الثقافة المادية الاستهلاكية على حساب ثقافة القيم الإنسانية، مما أسهم في تسليع القيم واستهلاكها.

رابعًا: أظهرت الدراسة الدور المحوري لوسائل الإعلام، خاصة الإعلام الرقمي، في تشكيل التصورات المتبادلة بين الثقافات، وقد لوحظ أن التغطية الإعلامية غير المتوازنة، والتركيز على الجوانب السلبية مع نزعة التطرف والعنصرية ساهم في تعزيز الصور النمطية وتعميق سوء الفهم بين الثقافات.

خامسًا: أكدت الدراسة على التأثيرات السلبية للتطرف والتعصب على مسار الحوار

الحضاري، فقد تبين أن الأصوات المتطرفة – رغم كونها أقلية – غالبًا تحظى بتغطية إعلامية واسعة، مما يؤدي إلى تشويه صورة الثقافات وإعاقة جهود الحوار البناء.

سادسًا: كشفت الدراسة عن الدور المحوري للمؤسسات التعليمية في تشكيل الوعي الثقافي، وبناء القدرات اللازمة للحوار الحضاري، فقد ثبت أن المناهج التعليمية التي تعزز التفكير النقدي، والوعي بالتنوع الثقافي، تساهم بشكل كبير في إعداد الأجيال القادمة للمشاركة الفعالة في الحوار الحضاري.

سابعًا: أبرزت الدراسة الأثر المتنامي للتكنولوجيا الرقمية على مسار الحوار الحضاري، فقد فتحت وسائل التواصل الاجتماعي، والمنصات الرقمية آفاقًا جديدة للتواصل المباشر بين الثقافات، ولكنها في نفس الوقت خَلَّفت تحديات جديدة مثل: انتشار خطاب الكراهية والمعلومات المضللة.

ثامنًا: تبين من خلال البحث الدور الحيوي الذي يمكن أن يقوم به الشباب في تعزيز الحوار الحضاري، فقد تبين أن الشباب بحكم انفتاحه على العالم، وقدرته على التكيف مع التغيرات السريعة، يمتلك إمكانات كبيرة لقيادة مبادرات الحوار والتفاهم بين الثقافات.

تاسعًا: كشفت الدراسة عن أهمية ودور القضايا العالمية المشتركة، مثل: تغير المناخ والأمن الغذائي في الحوار الحضاري؛ من حيث توفير أرضية مشتركة للحوار والتعاون بين الأمم والحضارات.

عاشرًا: خلُص البحث إلى أهمية تحقيق التوازن بين الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارة والانفتاح على الثقافات الأخرى، فالخوف من فقدان الهوية يمكن أن يؤدي إلى الانغلاق والتعصب، بينما الانفتاح المفرط في جميع المجالات خاصة مجالات الفكر والثقافة قد يؤدي إلى فقدان الخصوصية الثقافية.

حادي عشر: كشفت الدراسة بوضوح عن أهمية تعلم اللغات والتعرف على الثقافات المختلفة، إذ تشكل اللغة عنصرًا أساسيًا في تعزيز الحوار الحضاري، كما أن القدرة على التواصل بفعالية عبر تفادي الحواجز اللغوية والثقافية يعد مفتاحًا لبناء جسور التفاهم،

وتجاوز سوء الفهم الناجم عن الاختلافات اللغوية والثقافية.

ثاني عشر: أكدت الدراسة على أهمية التركيز على القواسم المشتركة بين الحضارات، كنقطة انطلاق للحوار البناء، إذ يعمل ذلك على تجاوز الخلافات السطحية، والتركيز على القيم الإنسانية المشتركة التي تجمع بين مختلف الثقافات والحضارات.

ثالث عشر: كشف البحث عن وجود فرص متعددة لتعزيز الحوار الحضاري في الحاضر والمستقبل، من خلال التعاون في القضايا العالمية المشتركة، وتفعيل دور مؤتمرات ومنتديات الحوار بين الأديان والثقافات، واستثمار الفضاء الرقمي، مشاركة الشباب، والعمل على تعزيز برامج التبادل الثقافي والأكاديمي.

التوصيات

أولا: يُوصى الباحث بضرورة تنفيذ وتطوير برامج تعليمية شاملة، تهدف إلى تعزيز الوعي بالتنوع الثقافي والديني، وتنمية مهارات التواصل بين الثقافات، فمثل هذه البرامج ينبغي أن تكون جزءًا لا يتجزأ من المناهج الدراسية في مختلف المراحل التعليمية، بدءاً من المدارس الابتدائية وصولاً إلى الجامعات، ويمكن إضافة تدريس مادة تحمل مسمى (حوار الحضارات) في المرحلة الجامعية، تعمل على إثراء وتعزيز مهارات التواصل بين الشباب.

ثانيًا: تعزيز وتشجيع ودعم البحوث المشتركة، والمشاريع الأكاديمية التي تجمع باحثين وعلماء من مختلف الخلفيات الثقافية والدينية.

رابعًا: يُوصي الباحث بتطوير استراتيجيات إعلامية في كافة المنابر الإعلامية، تهدف إلى تسليط الضوء على القيم الإيجابية للتعايش، والتعاون بين الثقافات، وتعمل على مكافحة الصور النمطية، والأحكام المسبقة.

خامسًا: يُقترح إنشاء منصات رقمية متخصصة، تهدف إلى تسهيل التواصل والحوار بين الأفراد من مختلف الثقافات والأديان، فمثل هذه المنصات يمكنها أن توفر فرصًا ومجالات للتبادل الثقافي، والحوار الحضاري.

سادسًا: يُوصي الباحث بتعزيز دور المؤسسات الدينية، وخاصة الإسلامية،؛ حتى

تؤدي دورًا أكثر فعالية في تعزيز الحوار بين الأديان والثقافات، وذلك من خلال تنظيم برامج تدريبية للدعاة والأئمة حول مهارات الحوار الحضاري، وتشجيع المبادرات المشتركة مع المؤسسات الدينية الأخرى.

سابعًا: ضرورة التوسع في برامج التبادل الثقافي والأكاديمي، خاصة للشباب والطلاب، فهذه البرامج تتيح فرصًا ثرية للتعرف المباشر على الثقافات الأخرى، وبناء علاقات إنسانية تتجاوز الحدود الثقافية والدينية.

ثامنًا: يُقترح تطوير وتعزيز آليات فعالة لحل النزاعات المسلحة، وبناء السلام العالمي، تستند إلى مبادئ الحوار الحضاري والتفاهم المتبادل، ويتم دعمها بجهود دبلوماسية وسياسية على المستويين الإقليمي والدولي.

تاسعًا: يُوصي الباحث بتكثيف الجهود الدولية لتعزيز التعاون بين مختلف الثقافات والحضارات في مواجهة التحديات العالمية المشتركة، مثل: تغير المناخ، والأمن الغذائي، ومكافحة الأوبئة، هذا التعاون من شأنه أن يعزز الشعور بالمصير المشترك ويقوي أواصر التضامن الإنساني. إن تنفيذ هذه التوصيات يتطلب جهودًا متضافرة من جميع الأطراف المعنية، بما في ذلك الحكومات، والمؤسسات الدينية والتعليمية، ومنظمات المجتمع المدني، ووسائل الإعلام، كما يتطلب التزامًا طويل الأمد بمبادئ الحوار والتفاهم المتبادل.

المصادر والمراجع

أولا القرآن الكريم:

ثانيًا: المصادر والمراجع

١- الأخلاق في الأديان الثلاثة، السيد أبو ضيف مدني، دار الشروق، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣- الإسلام وأسئلة الحاضر، سعيد بنسعيد العلوي، منشورات الزمن للنشر والتوزيع، الرباط، سنة: ٢٠٠١م.

٤- الإسلام والإعلاموفوبيا - الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف، المحجوب بن سعيد، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، سنة: ٢٠١٠م.

٥- الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار، محمد إبراهيم مبروك، مركز الحضارة العربية، ط١، القاهرة، سنة: ٢٠٠٢م.

٦- الإسلام والغرب والديموقراطية، جودت سعيد وعبد الواحد علواني، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط١، سنة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٧- الإسلام وصراع الحضارات، د/ أحمد القديدي، تقديم: عمر عبيد حسنة، سلسلة كتب الأمة، ذو الحجة ١٤١٥هـ - مايو ١٩٩٥م.

٨- أصوات متعددة وعالم واحد: "الاتصال والمجتمع اليوم وغدا"، شون ماكبرايد وآخرين، تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال التابعة لمنظمة اليونيسكو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة: ١٩٨١م.

٩- إعلان طهران بشأن الحوار بين الحضارات الصادر عن الندوة الإسلامية للحوار بين الحضارات التي عقدت في طهران في الفترة من ٣ إلى ٥ أيار / مايو ١٩٩٩م.

١٠- آفاق جزائرية: للحضارة، للثقافة، للمفهومية، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سنة: ١٩٧١م.

١١- تحديات الإعلام العربي: دراسات الإعلام، المصداقية، الحرية، التنمية، والهيمنة الثقافية، صالح خليل أبو أصبع، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، سنة: ١٩٩٩م.

١٢- التربية الخاطئة للغرب، كيف يُشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام، جوكينشلو وشيرلي شتاينبرغ،

ترجمة: حسان بستاني، دار الساقي، بيرون – لبنان، ط١، سنة: ٢٠٠٥م.
١٣- الترجمة وحوار الحضارات والثقافات في زمن العولمة، د/ رقية بوقراص، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، العدد الثامن، ديسمبر، سنة: ٢٠١٨م.
١٤- الترجمة ورهانات العولمة، أ/ كروش حيزية، مجلة معالم، المجلد ٩ العدد ١، سنة: ٢٠١٨م.
١٥- التسامح في الإسلام، محمود حمدي زقزوق، مجلة التسامح، المجلد:١، العدد:١، الناشر: وزارة الأوقاف والشئون الدينية، عمان، سنة: ٢٠٠٣م.
١٦- التعاون والتعارف رؤية إسلامية عالمية نحو تحقيق السلم والسلام لجميع الدول والشعوب، د/ عبد الحي عزب عبد العال، مجلة الشريعة والقانون، العدد: ٣٨، أكتوبر سنة: ٢٠٢١م.
١٧- تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون، هارالد موللر، ترجمة: د/ إبراهيم أبو هشهش، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت – لبنا، سنة: ٢٠٠٥م.
١٨- التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة، جون ل. إسبوزيتو، ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار الشروق، القاهرة: الطبعة الثانية، سنة: ٢٠٠٢م.
١٩- التواصل الحضاري من منظور إسلامي، د/ نورة العويد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٤٣هـ -٢٠٢١م.
٢٠- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، توفيق يوسف الواعي، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، سنة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢١- الحضارة الإسلامية، أحمد عبد الرحيم السايح، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١٠، سنة: ١٣٩٧هـ.
٢٢- الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، حسين مؤنس، دار عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، ط٢ سنة: ١٩٩٨م.
٢٣- الحوار أفقا للفكر - طه عبد الرحمن، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، سنة: ٢٠١٣م.
٢٤- الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات، يوسف الحسن، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، ط١، سنة: ١٩٩٧م.
٢٥- حوار الحضارات – المحددات والضوابط في ضوء الكتاب والسنة، د/ فهد بن عبد العزيز

عبد الله السنيدي، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية – جامعة الملك سعود، سنة: ١٤٣٠هـ.

٢٦- حوار الحضارات الضرورات والرهانات، د/ عبد الحليم زوبير، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)، المغرب، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م.

٢٧- حوار الحضارات بين الفكرة والتطبيق، د/ بلبول نصيرة، مجلة آفاق للعلوم، المجلد الخامس، العدد: ١٨، سنة: ٢٠٢٠م.

٢٨- حوار الحضارات في منظور الثقافة الإسلامية – الأسس والقواعد، د/ محمد سيف الإسلام بوفلاقة، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد: الثامن، العدد الأول، سنة: ٢٠٢١م.

٢٩- حوار الحضارات، د/ أحمد طالب الإبراهيمي، مجلة العربي، العدد ٤٧٧، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكوية، سنة الإصدار: ١٩٩٨م.

٣٠- حوار الحضارات، د/ وليد عبد الناصر محمود، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١، سنة: ٢٠٠٧م.

٣١- الحوار الحضاري ... الحوار في اللغة – رؤية في الوسائل والأهداف –، عائشة بلعربي، مقال بمجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، السنة: ٤٤، العدد: ٥٠٠، ربيع الآخر، ١٤٢٨هـ.

٣٢- الحوار الحضاري ضرورة إنسانية، أحمد عبد الرحيم السايح، دارة الملك عبدالعزيز، المجلد: ٢٠، العدد: ٤، سنة: ١٩٩٥م.

٣٣- الحوار مع الغرب: تحديات وتعقيدات، د/ عبد الله الأشعل، مقال بمجلة الداعي، الجامعة الإسلامية – دار العلوم، السنة: ٢٧، العدد، السابع، سنة: ٢٠٠٣م.

٣٤- خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، عبد العزيز عثمان التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، سنة: ٢٠٠٢م.

٣٥- دور الجامعات العربية والإسلامية في تعزيز الحوار بين الحضارات، د/ جمال مصطفى محمد مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة: ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

٣٦- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، خليل شحادة،

دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٣٧- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٣٨- الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي - عربي، مصلح أحمد صالح، دار عالم الكتب - الرياض، الطبعة الأولى،١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩م.
٣٩- شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوربا"، هونكه زيغريد، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، سنة: ١٩٩٣م.
٤٠- صدام الحضارات أم حوار الحضارات؟ دراسة مقارنة في جدلية الفكر الغربي والفكر الإسلامي، د/ عمر خروبي بزارة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، المجلد: ١٣، العدد:٢، سنة: ٢٠٢١م.
٤١- صدام الحضارات، صاموئيل هنتيغتون، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث، بيروت - لبنان.
٤٢- العولمة الإعلامية، مؤيد عبد الجبار الحديثي، عمان الأهلية للنشر والتوزيع، سنة: ٢٠٠٢م.
٤٣- العولمة مقاومة واستثمار، د/ إبراهيم بن ناصر الناصر، من إصدارات مجلة البيان، ط١، سنة: ١٤٢٦هـ.
٤٤- في سبيل حوار الحضارات، روجيه غارودي، تعريب عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت - لبنان، ط٤، سنة: ١٩٩٩م.
٤٥- في معركة الحضارة - دراسة في ماهية الحضارة وأحوالها وفي الواقع الحضاري، قسطنطين زريق، دار العلم للملاين، ط٤، سنة: ١٩٨١م.
٤٦- قصة الحضارة، وِل ديورَانت - ويليام جيمس ديورَانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، وآخرون، دار الجيل، بيروت - لبنان، سنة: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٤٧- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

٤٨- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٤٩- مستقبل الإسلام والغرب صدام حضارات أم تعايش سلمي؟ ، شيرين هنتر، ترجمة: زينب إبراهيم شوربا، مركز الدراسات الإستراتيجية للبحوث والتوثيق، ط١، بيروت، سنة: ٢٠٠٢م.

٥٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد – وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

٥١- مشكلات الحضارة – وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، تقديم عمار طالبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الكتاب المصري، سنة: ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٥٢- من الاختلاف الى الصراع: الخطابات الأميركية والعربية بعد ١١ سبتمبر، د/رضوان السيد، مقال منشور بدار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، مجلد: ١٤، عدد: ٥٤، سنة: ٢٠٠٢م.

٥٣- مناهج البحث العلمي، د/ محمد سرحان المحمودي، دار الكتب – صنعاء، ط٣، سنة: ١٤٤١هـ – ٢٠١٩م.

٥٤- الإسلام والمسيحية، أليكسى جورافيسكى، ترجمة خلف الجراد، عالم المعرفة . الكويت . ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

٥٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، سنة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٦- الهوية الثقافية وصراع الحضارات في ظل الثورة التكنولوجية، د/ محمد قارش، مجلة الإحياء، العدد السادس عشر، سنة: ٢٠١٣م.

٥٧- وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، وليام ل. ريفرز، تيودور بيترسون، جاي و.جنس، ترجمة إبراهيم إمام، دار الفكر العربي، سنة: ١٩٧٥م.

٥٨- في أصول القومية بالبلاد المغاربية: إرنست غلنر ومفهوم الثقافة العليا، رحال بوبريك، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، مجلد: ٩، عدد: ٣٥، سنة: ٢٠٢١م.

٥٩- المجتمع مسلم، إرنست غلنر، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر، بيروت: دار المدار الإسلامي، سنة: ٢٠٠٥م.

٦٠- صورة العرب في أمريكا، د/ روتوبيت . ترجمة أ/ ثابت عيد، نهضة مصر . ط١ . ٢٠٠١م.

٦١- فوكوياما ونهاية التاريخ: مقاربة نقدية أولية، د/ خلف الجراد، صـ١٦، مجلة المعرفة، وزراة الثقافة، سنة: ٥٩، العدد: ٦٨٨، سنة: ٢٠٢١م.

٦٢- من المكتبة الأجنبية: مستقبل الإسلام السياسي، د/ بدر الدين مصطفي، مقالة بمجلة العربي، العدد: ٦٣٨، سنة: ٢٠١٢م.

٦٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، إعداد: لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مراجعة: مصطفى محمد الحديدى الطير، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، سنة: (١٣٩٣ - ١٩٧٣م).

٦٤- الحضارة والسياسة: مطالعة في نظرية صمويل هنتنغتون، زكي الميلاد، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، سنة: ٢٨، العدد: ١١٢، سنة: ٢٠٢١م.

٦٥- القطبية الثنائية أم المتعددة وتداعياتها الدولية والإقليمية، مجلة شؤون عربية، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، العدد: ١٩٦، سنة: ٢٠٢٣م.

ثالثًا: المواقع الإلكترونية

٦٦- موقع bbc عربي، الرابط// https://www.bbc.com/arabic/middleeast-٦٤٥٠٠٨٥٤ .

٦٧- موقع منظمة الأغذية والزراعة – الأمم المتحدة، الرابط//
https://www.fao.org/newsroom/detail/un-report-global-hunger-SOFI-٢٠٢٢-FAO/ar

٦٨- موقع الموسوعة الحرة: ويكيبديا، الرابط//
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%A٨%D٨%B١%D٩%٨٦%D٨%A٧%D٨%B١%D٨%AF_%D٩%٨٤%D٩%٨٨%D٩%٨A%D٨%B٣

٦٩- موقع المعرفة، الرابط//
https://www.marefa.org/%D٨%B٢%D٩%٨A%DA%AF%D٨%B١%D٩%٨A%

D٨٪AF_%D٩٪٨٧٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨٣٪D٩٪٨٧

٧٠- موقع الموسوعة البريطانية، الرابط//

https://www.britannica.com/biography/Samuel-P-Huntington

٧١- موقع التبراة، الرابط// https://altibrah.ae/author/٢٩٣٣ .

٧٢- موقع جائزة نوبل، الرابط//

https://www.nobelprize.org/prizes/peace/١٩٧٤/macbride/facts /

٧٣- موقع أبجد، الرابط//

https://www.abjjad.com/author/٢١٣٣٢٩٥١٠٤/%D٩٪٨٦٪D٨٪B٩٪D٩٪٨٨

%D٩٪٨٥-%D٨٪AA%D٨٪B٤٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨٥٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٣٪D٩٪٨A

فهرس المحتويات

المقدمة ٩٩٤
التمهيد ٩٩٩
المبحث الأول: تحديات الحوار الحضاري ١٠٠٧
المطلب الأول: الصور النمطية والأحكام المسبقة ١٠٠٧
المطلب الثاني: اختلاف القيم والمفاهيم ١٠١٦
المطلب الثالث: الصراعات السياسية والاقتصادية ١٠٢٢
المطلب الرابع: التطرف والتعصب ١٠٢٤
المطلب الخامس: ضعف اللغة المشتركة ١٠٣٠
المبحث الثاني: الدعوة الإسلامية ودورها في مواجهة تحديات الحوار الحضاري ... ١٠٣٥
المطلب الأول: التأكيد على قيم الحضارة الإسلامية في احترام الآخر ١٠٣٧
المطلب الثاني: نشر ثقافة التسامح والتعايش ١٠٤١
المطلب الثالث: تعزيز الحوار البناء وتصحيح المفاهيم الخاطئة ١٠٤٤
المطلب الرابع: الاهتمام بتعلم اللغات والترجمة ١٠٤٧
المطلب الخامس: التركيز على القواسم المشتركة بين الحضارات ١٠٥٢
المبحث الثالث: آفاق مستقبلية للنهوض بالحوار الحضاري ١٠٥٧
المطلب الأول: التعاون في القضايا العالمية ١٠٥٧
المطلب الثاني: تعزيز دور مؤتمرات ومنتديات الحوار بين الأديان والثقافات ١٠٦٣
المطلب الثالث: استثمار الفضاء الرقمي لتعزيز التواصل بين الثقافات ١٠٦٧
المطلب الرابع: تفعيل دور الشباب في الحوار الحضاري ١٠٧١
المطلب الخامس: برامج التبادل الثقافي والأكاديمي ١٠٧٤
الخاتمة ١٠٧٦
المصادر والمراجع ١٠٨٠
فهرس المحتويات ١٠٨٧